إنسانية الحضارة الإسلامية

إشراف وتقديم

د. محمد مختار جمعة

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

وعضو مجمع البحوث الإسلامية

١٤٤٣ هـ / ٢٠٢٢ م

الهيئة المصرية العامة للكتاب

الهيئة المصرية العامة للكتاب

رئيس مجلس الإدارة

د. هيثم الحاج علي

إنسانية الحضارة الإسلامية

إشراف وتقديم

د. محمد مختار جمعة

الطبعة الأولى

للهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٢١.

ص.ب ٢٣٥ رمسيس
١١٩٤ كورنيش النيل ـ رملة بولاق القاهرة
الرمز البريدي: ١١٧٩٤
تليفون: ٢٥٧٧٧٥١٠٩ (٢٠٢) داخلي ١٤٩
فاكس: ٢٥٧٦٤٢٧٦ (٢٠٢)

الطباعة والتنفيذ
مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الهيئة، بل تعبر عن رأي المؤلف وتوجهه في المقام الأول.

حقوق الطبع والنشر محفوظة للهيئة المصرية العامة للكتاب.
يحظر إعادة النشر أو النسخ أو الاقتباس بأية صورة إلا بإذن كتابي من الهيئة المصرية العامة للكتاب، أو بالإشارة إلى المصدر.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾

[سورة النحل: ٤٣]

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديـــم

الحمـد لله رب العالمـين، والصلاة والسـلام عـلى خاتم أنبيائـه ورسـله سـيدنا محمـد بـن عبـد الله ﷺ وعـلى آلـه وصحبـه ومـن تبـع هـداه إلى يـوم الدين.

وبعـــد،،،

فلا شـك أن ديننا الحنيف مفعم بالقيم الإنسـانية سـواء فى أخلاقـه أم فى تشريعاتـه، فعندمـا كرم الإسـلام الإنسـان كرمـه عـلى أخلاقـه الإنسـانية بغـض النظر عـن لونـه أو جنسـه أو لغتـه أو عرقـه، فقـال سـبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [سـورة الإسراء، الآيـة ٧٠] ولم يقـل: كرمنـا المسـلمين وحدهـم، أو المؤمنـين وحدهـم، أو الموحديـن وحدهـم، وكان نبينـا ﷺ يقول: «يـا أَيُّهـا النَّـاسُ، إنَّ ربَّكم واحِـدٌ، أَلَا لا فَضْـلَ لعَرَبيٍّ عـلى عَجَمـيٍّ، ولا لعَجَميٍّ على

عَـرَبيٍّ، ولا لأحمَـرَ عـلى أسْـوَدَ، ولا لأسْـوَدَ عـلى أحمَـرَ إلَّا بالتَّقْـوى، إنَّ أكْرَمَكـم عنـدَ الله أتْقاكـم»، وكان يقـول في شـأن سـلمان الفارسي: «سـلمانَ منا آل البيـت»، وعن عمر بـن الخطـاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقـول: «أبو بكر سـيدنا وأعتق سـيدنا»، يعنـى بذلـك بـلالًا الحبشي، وقـال رسـولنا ﷺ: «لينتهيَنَّ أقـوامٌ يفتخـرونَ بِآبائِهِـمُ الذينَ ماتُـوا إِنَّما هُمْ فَحْـمُ جهنمَ أوْ ليكونُـنَّ أَهْـوَنَ عـلى الله مِنَ الجُعَـلِ الذي يُدَهْـدِهُ الخِرَاءَ بِأنْفِـهِ إِنَّ اللهَ قـد أَذْهَـبَ عَنْكُـمْ عُبِّيَّـةَ الجاهليـةِ وفَخْرَهـا بالآبـاءِ إِنَّـما هـو مُؤْمِـنٌ تَقِـيٌّ أوْ فَاجِـرٌ شَـقِيٌّ النـاسُ كلُّهُمْ بَنُـو آدمَ وآدَمُ خُلِـقَ من تُـرَابٍ».

وعندمـا حـرَّم الإسـلام قتـل النَّفـس حـرَّم قتـل النَّفـس كل نفـس وأي نفـس وعصـم كل الدمـاء فقـال الحـق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في كتابـه العزيـز: ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾[سـورة المائـدة، الآية ٣٢]، ويقـول نبينا ﷺ: «لا يَـزَالُ المُؤْمِـنُ فِي فُسْـحَةٍ مِن دِينِـهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًـا حَرَامًا»،

وعندما رأى النبي ﷺ امرأة كافرة عجوزًا مقتولة في ساحة القتال قال ﷺ: «مَنْ قَتَلها؟ مَا كَانَت هَذِه لِتُقَاتِل»، بما يعني أنه لا يوجد في الإسلام قتل على المعتقد، إنما يكون القتال لرد العدوان، ولما مرت عليه ﷺ جنازةُ يهودي وقفِ ﷺ فقِيلَ له: إنَّها جِنازةُ يَهوديٍّ، فَقالَ: أَليسَتْ نَفْسًا؟!، وعندما تحدث القرآن الكريم عن خيرية هذه الأمة ربط هذه الخيرية بإنسانية هذه الأمة وكونها خير الناس للناس، فقال ﷻ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم﴾ [سورة آل عمران، الآية ١١٠].

وقد عني التشريع الإسلامي بشأن الأيتام والضعفاء والفقراء والمحتاجين وذوي الاحتياجات الخاصة، وجعل ﷺ الساعي على الأرملة والمسكين كالصائم القائم، وكالمجاهد في سبيل الله أجرًا وثوابًا وحسن عاقبة، وكان ﷺ يقول: «هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إلا بِضُعَفَائِكُمْ»، وعندما وصفته ﷺ السيدة خديجة رضي الله عنها قالت: «فَوَاللَّهِ لا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا؛ إنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ،

وتَصْـدُقُ الحَدِيـثَ، وتَحْمِـلُ الـكَلَّ، وتَقْـرِي الضَّـيْـفَ، وتُعِـينُ عـلَى نَوَائِـبِ الحَـقِّ».

وقـد راعـى الإسـلام حق الضعيـف والجار والمسكين والمحتـاج، فقـال نبينـا ﷺ: «وَاللهَّ لا يُؤْمِـنُ، وَاللهُّ لا يُؤْمِنُ، وَاللهَّ لا يُؤْمِـنُ»، قَالُـوا: يَـا رَسُـولَ اللهَّ وَمَـا ذَلِـكَ ؟ قَـالَ: مَـنْ لا يَأْمَـنُ جَـارُهُ بَوَائِقَـه، وقـال ﷺ: «مَـن كانَ يُؤْمِـنُ بـاللهَّ واليَـومِ الآخِـرِ فلا يُـؤْذِ جـارَهُ، ومَـن كانَ يُؤْمِـنُ باللهَّ واليَـوم الآخِـرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَـهُ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ بـاللهَّ واليَومَ الآخِـرِ فَلْيَقُـلْ خَـيْرًا أوْ لِيَصْمُـتْ»، وقال ﷺ: «مَـا آمَنَ بِي مَـنْ بَاتَ شَـبْعَان وَجَـارُهُ جَائِـعٌ إِلَى جَنْبِـهِ وَهُوَ يَعْلَـمُ بِهِ »، ولمـا قيل لـه: إنَّ فلانةَ تقـومُ اللَّيـلَ وتَصومُ النَّهـارَ وتفعلُ، وتصـدَّقُ، وتُـؤذي جيرانَهـا بلِسـانِها ؟ فقـال رسـولُ الله صـلَّى الله عليهِ و سـلم:«لا خَيرَ فيهـا، هيَ من أهـلِ النَّارِ»، وعندمـا تحـدث ﷺ عـن حقـوق الجـار سـما بهـا إلى أعـلى درجـات الرقـي الإنسـاني حـين قـال: «ولا تُـؤذِه بقُتـارِ قِـدْرِكَ إلَّا أنْ تَغـرِفَ لـه منهـا، وإنِ اشـتَرَيتَ فاكِهـةً فأهْدِ لـه، فـإنْ لم تَفعَلْ فأدخِلْهـا سِرًّا، ولا يَخرُجْ بها وَلَـدُكَ ليَغيظَ بهـا وَلَـدَه، أتَـدرونَ ما حَـقُّ الجارِ؟ والـذي نَفْسي بيَـدِه، ما يَبلُـغُ حَـقَّ الجـارِ إلَّا قليـلٌ مِمَّن رَحِـمَ اللهُ».

وراعـى الإسـلام حـق وشـعور القريـب والبعيـد، فقال الحـق سـبحانه في شـأن معاملـة الوالديـن: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا﴾ [سـورة الإسراء، الآيـة ٢٣]، وجعـل الإسـلام اللقمة التـي تضعها في فم امرأتـك، والنفقة التـي تنفقهـا عـلى ولـدك صدقة، ونهـى حتى عن مجـرد جرح المشـاعر فقـال نبينـا ﷺ: «مَـن كانـت لـه أُنثـى، فلـم يَئِدْها، ولم يُهِنْهـا، ولم يُؤثِـرْ ولَـدَه عليهـا -الذُّكـورَ-، أدخَلَـه اللهُ الجَنَّـةَ»، وقـال ﷺ: «إذا كُنْتُـمْ ثَلاثَـةً، فـلا يَتَناجَـى اثنان دون صاحبهـما فـإنَّ ذلـك يُحزِنُـه»، ودعـا إلى كل مـا يحقـق الوفاق والوئـام الإنسـاني، فنهـى عـن التحاسـد والتباغـض والتنابز بالألقـاب، ودعـا إلى التراحـم والتزاور والتسـامح، وحسـن الظـن ومنـاداة الإنسـان بأحـب الأسـماء إليـه والبشاشـة في وجهـه، فقـال ﷺ: «لا يَحْقِـرَنَّ أحدُكـم شـيئًا مـن المعـروفِ، فـإن لم يَجِـدْ فلْيَلْـقَ أخـاه بوَجْـهٍ طَلْـقٍ، وإذا اشْـتَرَيْتَ لحـمًا أو طَبَخْـتَ قِـدْرًا فأَكْثِـرْ مَرَقَتَـه، واغْـرِفْ منه لجِـارِكَ».

فما أحوجنا إلى اسـتعادة وترسـيخ هذه القيم الإنسـانية التـي دعـا إليهـا ديننا الحنيـف لنحقـق بصدق خيريـة هذه

الأمـة كما أرادها الله ﷻ، وتسـتحق بها رحمـة الله أولًا، وأن نكـون شـهداء عـلى الأمـم ثانيًـا وأن نغـير الصـورة القاتمة التـى رسـمتها الجماعـة الإرهابيـة المضللـة لديننـا الحنيـف مـن جهـة أخرى.

ويتنـاول هـذا الكتـاب موضـوع «إنسـانية الحضـارة الإسـلامية»، حيـث يضـم مجموعـة مختـارة مـن الأبحاث التـي قدمهـا نخبـة مـن العلـماء الأجـلاء لمؤتمـر المجلـس الأعـلى للشـئون الإسـلامية في دورته السـابعة عـشرة، مع نسـبة كل بحـث منهـا إلى كاتبـه بمنتهـى الأمانـة العلميـة.

ويشرفنـي أن أشـارك هـؤلاء الأعـلام الكبـار في هـذا الكتـاب بمبحـث خاص عن رسـول الإنسـانية ﷺ، يبرز بعض الجوانـب الإنسـانية في حياتـه وهديـه عليه السلام، سـائلًا المـولى ﷻ أن يتقبـل هـذا العمـل، وأن يجـزي كل مـن أسـهم فيـه ببحـث، أو جهـد، أو تنظيـم لذلكـم المؤتمـر، أو أشرف عليـه خـير الجـزاء.

والله من وراء القصد وهو الموفق والمستعان،،،

أ.د. محمد مختار جمعة مبروك

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

عضو مجمع البحوث الإسلامية

رسـول الإنسانية ﷺ(١)

نبينـا محمـد ﷺ نبي الإنسـانية ورسـولها، سـواء مـن حيث كـون رسـالته جـاءت رحمـة للعالمين، أم مـن حيـث كونهـا للنـاس كافـة، حيـث يقـول الحـق سـبحانه: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾(٢)، وحيـث يقـول نبينا ﷺ: "وَكَانَ النَّبِـيُّ يُبْعَـثُ إِلَى قَوْمِـهِ خَاصَّـةً وَبُعِثْـتُ إِلَى النَّـاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيـتُ الشَّـفَاعَةَ"(٣)، أم كان ذلـك مـن جهـة مـا تضمنتـه الرسـالة مـن جوانـب الرحمـة والإنسـانية وتكريـم الإنسـان لكونـه إنسـانًا بغض النظر عـن دينـه أو لونه أو جنسـه أو لغته، حيـث يقول الحـق سـبحانه: ﴿وَلَقَـدۡ كَرَّمۡنَـا بَنِـيٓ ءَادَمَ﴾(٤)،

(١) الأستاذ الدكتور/ محمد مختار جمعة، وزير الأوقاف، مصر.

(٢) [سورة سبأ، الآية ٢٨].

(٣) متفـق عليه : صحيح البخاري، كتـاب التيمم، باب منه رقـم ١٣٩، حديث رقم ٣٣٥، وصحيح مسلم، كتاب المساجد ، باب منه، حديث رقم ١١٩١.

(٤) [سورة الإسراء، الآية ٧٠].

أم مـن حيـث مراعاتـه ﷺ للأبعـاد الإنسـانية في جميـع معاملاتـه وسـائر تصرفاتـه.

ويتجلى البُعْد الإنساني في حياة سيدنا رسول الله ﷺ في معاملته لأصحابه وأزواجه وأحفاده والناس أجمعين، فكان خير الناس لأهله، وهو القائل عن أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها: "آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي الله عز وجل وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ"(١)، وظل وفيًّا لها طوال حياتها حتى بعد وفاتها، فكان يكرم صديقاتها ومن كن يأتيه على عهدها، فقد جاءت عجوز إلى بيته ﷺ فقال لها: مَنْ أَنْتِ؟ "قَالَتْ: أَنَا جَثَّامَةُ الْمُزَنِيَّةُ، فَقَالَ: "بَلْ أَنْتِ حَسَّانَةُ الْمُزَنِيَّةُ، كَيْفَ أَنْتُمْ؟ كَيْفَ حَالُكُمْ؟ كَيْفَ كُنْتُمْ بَعْدَنَا؟" قَالَتْ: بِخَيْرٍ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ الله، فَلَمَّا خَرَجَتْ قالت عائشة: يَا رَسُولَ الله، تُقْبِلُ عَلَى هَذِهِ الْعَجُوزِ

---

(١) مسـند أحمد: ج٥٤/ ص ٢١٥، حديث رقم ٢٥٦٠٦. وفي صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصـار، باب تَزْوِيجُ النَّبِي ﷺ خَدِيجَةَ، وَفَضْلُهَـا رضي الله عنها، حديث رقم ٣٨١٨، ولفظه: عَنْ عَائِشَـةَ رضي الله عنها قَالَتْ مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَـاءِ النَّبِي ﷺ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، وَمَا رَأَيْتُهَا، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِي ﷺ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ، ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلاَّ خَدِيجَةُ. فَيَقُولُ إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ.

هَذَا الْإِقْبَالَ؟ فَقَالَ: "إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا زَمَنَ خَدِيجَةَ، وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ"(١).

وكان شديد الحب لأحفاده شديد الحفاوة والعناية بهم، فعن أبي بكرة قال: رأيت النبي ﷺ على المنبر والحسن بن علي معه، وهو يقبل على الناس مرة وعليه مرة ويقول: إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين، ولما رآه الأقرع بن حابس يقبل الحسن والحسين، قَالَ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: "مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ" وفي رواية: "أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ"(٢).

وكان ﷺ أرحم الناس بالناس وبخاصة الأطفال والضعفاء حيث يقول ﷺ: "إِنِّي لَأَقُومُ فِي الصَّلاَةِ أُرِيدُ أَنْ

(١) المستدرك على الصحيحين، كتاب الإيمان، ذكر حديث معمر، حديث رقم ٤٠. وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ. ووافقه الذهبي. وقد ترجم الإمام البخاري بجزء من المتن لأحد أبواب صحيحه، وذلك في كتاب الأدب، بَابٌ حُسْنُ العَهْدِ مِنَ الإِيمَانِ، حديث رقم ٦٠٠٤. ولفظه: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (مَا غِرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ... الحديث.

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رَحْمَةِ الْوَلَدِ وَتَقْبِيلِهِ وَمُعَانَقَتِهِ، حديث رقم ٥٩٩٨، وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب رَحْمَتِهِ ﷺ بالصِّبْيَانَ وَالْعِيَالَ وَتَوَاضُعِهِ وَفَضْلِ ذَلِكَ، حديث رقم ٦١٦٩.

أُطَوِّلَ فِيهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلاَتِي كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ"[١]، ويقول ﷺ: "... فَمَنْ صَلىَّ بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةِ"[٢].

وها هو ﷺ تدمع عيناه عند وفاة ابنه إبراهيم عليه السلام، فقال له سيدنا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله؟! فيقول ﷺ: "يا ابن عوف إنها رحمة" ثم قال: "إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلاَّ مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ"[٣].

وسجد ﷺ يومًا فأطال السجود، فلما قضى الصلاة، قال الناس: يَا رَسُولَ الله، إِنَّكَ سَجَدْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَي صَلاَتِكَ

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الآذان، بَاب مَنْ أَخَفَّ الصَّلاَةَ عِنْدَ بُكَاءِ الصَّبِيِّ، حديث رقم ٧٠٧. وصحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب أَمْرِ الأَئِمَّةِ بِتَخْفِيفِ الصَّلاَةِ فِى تَمَامٍ، حديث رقم ١٠٨٣ . ولفظه: قَالَ أَنَسٌ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِىِّ مَعَ أُمِّهِ وَهُوَ فِى الصَّلاَةِ فَيَقْرَأُ بِالسُّورَةِ الْخَفِيفَةِ أَوْ بِالسُّورَةِ الْقَصِيرَةِ).

(٢) متفق عليه : صحيح البخاري، كتاب العلم، بـاب الْغَضَبِ فِي الْمَوْعِظَةِ وَالتَّعْلِيمِ إِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ، حديث رقم ٩٠، وصحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب أَمْرِ الأَئِمَّةِ بِتَخْفِيفِ الصَّلاَةِ فِى تَمَامٍ، حديث رقم ١٠٧٤ .

(٣) متفقٌ عليه : صحيح البخارى، كتاب الجنائز، باب قَوْلِ النَّبِىِّ ﷺ «إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ»، حديث رقم ١٣٠٣ ، وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب رَحْمَتِهِ ﷺ الصِّبْيَانَ وَالْعِيَالَ وَتَوَاضُعِهِ وَفَضْلِ ذَلِكَ، حديث رقم ٦١٦٧ ، ولفظه: « تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ وَلاَ نَقُولُ إِلاَّ مَا يَرْضَى رَبُّنَا والله يَا إِبْرَاهِيمُ إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ».

هَذِهِ سَجْدَةً قَدْ أَطَلْتَهَا، فَظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ، أَوْ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْكَ، قَالَ: "فَكُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ، وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ"(١).

وعن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ "كَانَ يُصَلِّي وَهْوَ حَامِلٌ أُمَامَةَ بِنْتَ زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ الله ﷺ، فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا، وَإِذَا قَامَ حَمَلَهَا"(٢).

وعندما كان ﷺ يخطب على المنبر وجد الحسن والحسين يتعثران فنزل من على المنبر واستلمهما وقبلهما، فعن عَبْد الله بْن بُرَيْدَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي بُرَيْدَةَ يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَخْطُبُنَا إِذْ جَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ، فَنَزَلَ رَسُولُ الله ﷺ مِنَ الْمِنْبَرِ فَحَمَلَهُمَا وَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "صَدَقَ الله"، ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾(٣) نَظَرْتُ إِلَى

(١) سنن النسائي، كتاب التطبيق، باب هَلْ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ سَجْدَةٌ أَطْوَلَ مِنْ سَجْدَةٍ حديث رقم ١١٤١.

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب إِذَا حَمَلَ جَارِيَةً صَغِيرَةً عَلَى عُنُقِهِ فِي الصَّلاَةِ، حديث رقم ٥١٦. وصحيح مسلم، كتاب المساجد، باب جَوَازِ حَمْلِ الصِّبْيَانِ فِي الصَّلاَةِ، حديث رقم ١٢٤٠.

(٣) [سورة التغابن، الآية ١٥].

هَذَيْـنِ الصَّبِيَّيْنِ يَمْشِـيَانِ وَيَعْثُـرَانِ فَلَمْ أَصْـبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ حَدِيثِـي وَرَفَعْتُهُمَا"(١).

وكان ﷺ يقـول عـن سـيدنا أبي بكـر الصديـق رضي الله عنه: "إِنَّ أَمَـنَّ النَّـاسِ عَـلَيَّ فِي صُحْبَتِـهِ وَمَالِـهِ أَبُو بَكْـرٍ"(٢)، وفي روايـة أنـه ﷺ قَـالَ: "إِنَّ اللهَ بَعَثَنِـي إِلَيكُـمْ فَقُلْتُـمْ: كَذَبْتَ، وَقَـالَ أَبُو بَكْـرٍ: صَدَقَ، وَوَاسَـانِي بِنَفْسِـهِ وَمَالِهِ، فَهَـلْ أَنْتُمْ تَارِكُـو لِي صَاحِبِـي"(٣)، وكان يقـول عـن سـيدنا سلمان الفارسي: "سـلمان منـا آل البيت"(٤)، ولما عاد سـيدنا جعفر بـن أبي طالـب من هجرته إلى الحبشـة ووافـق ذلك وصول البـشرى لرسـول الله ﷺ بفتـح خيبر، قبَّله رسـول الله ﷺ، قبَّلـه رسـول الله ﷺ بـين عينيـه والتزمـه، وقـال ﷺ: "مَـا أَدْرِي بِأَيِّهِـمَا أَنَـا أَفْـرَحُ، بِفَتْـحِ خَيْـبَرَ أَمْ بِقُـدُومِ جَعْفَرٍ؟"(٥).

---

(١) سنن أبى داود، كتاب الصلاة، باب الإِمَامِ يَقْطَعُ الْخُطْبَةَ لِلأَمْرِ يَحْدُثُ، حديث رقم ١١٠٩، وسنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مَنَاقِبِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ، حديث رقم ٣٧٧٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الْخَوْخَةِ وَالْمَمَرِّ فِي الْمَسْجِدِ، حديث رقم ٤٦٦. وسنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مَنَاقِبِ أَبِى بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، حديث رقم ٣٦٦٠.

(٣) صحيح البخاري : كتاب المناقب، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذًا خليلاً حديث رقم ٣٦٦١.

(٤) المسـتدرك على الصحيحين، كِتَابُ مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم، ذِكْرُ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رضي الله عنه، حديث رقم ٦٥٣٩. وتعقبه الذهبي في التلخيص قال : سنده ضعيف، وقال في «سير أعلام النبلاء» ج١/ ص ٥٤٠: في إسناده كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف، وهو متروك.

(٥) المسـتدرك على الصحيحين للحاكم، مِنْ كِتَابِ الْهِجْرَةِ الأُولَى إِلَى الْحَبَشَـةِ، حديث رقم ٤٢٤٩. وقال الذهبي في التلخيص: صحيح.

وعلمنا ﷺ الجود الإنساني والذوق الراقي في آن واحد فقال ﷺ: "لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ"(١)، وقال ﷺ: "... لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا، وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ"(٢)، سواء من جهة المعطية المنفقة التي لا ينبغي أن تستحي من قلة ما تملك فتحجم عن العطاء، فرب درهم سبق ألف درهم، يقول ﷺ: "مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ - وَلاَ يَقْبَلُ الله إِلاَّ الطَّيِّبَ - وَإِنَّ الله يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ"(٣)، أم كان ذلك من جهة الآخذة أو الآخذ، إذ لا ينبغي أن نُحرج المعطي أو المهدي وإن كان ما يهديه قليلًا؛ بل علينا أن نشكر له صنيعه وإن كان يسيرًا، حيث يقول نبينا ﷺ: "مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ الله"(٤)، وهو

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآدب، باب اسْتِحْبَابِ طَلاَقَةِ الْوَجْهِ عِنْدَ اللِّقَاءِ، حديث رقم ٦٨٥٧.

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الهبة، باب منه، حديث رقم ٢٥٦٦. وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب الْحَثِّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَلَوْ بِالْقَلِيلِ وَلاَ تُمْتَنَعُ مِنَ الْقَلِيلِ لِاحْتِقَارِهِ، حديث رقم ٢٤٢٦.

(٣) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الصَّدَقَةِ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، حديث رقم ١٤١٠. وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب قَبُولِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْكَسْبِ الطَّيِّبِ وَتَرْبِيَتِهَا، حديث رقم ٢٣٨٩.

(٤) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب مَا جَاءَ فِي الشُّكْرِ لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ، حديث رقم ١٩٥٤

ما أكده سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في حديثه عن الوصايا العشر في سورة الأنعام(١).

ومن هنا فإن إعلاءنا للقيم الإنسانية ليس أمرًا ثانويًّا أو مجرد أمر إنساني، إنما هو عقيدة وشريعة ودين ندين به لله عز وجل، فبدل أن تتناحر الأمم والشعوب وتتقاتل، ويعمل بعضهم على إفناء أو إضعاف أو إنهاك أو تفتيت بعض، فليتعاون الجميع لصالح البشرية جمعاء، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾(٢).

ولو أن البشرية أنفقت على معالجة قضايا الجوع والفقر والمرض والتنمية معشار ما تنفق على القتال والحروب والتخريب والتدمير، لتحول حال البشرية إلى ما يصلح شئون دينها ودنياها.

---

(١) الآيات: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ...﴾ [سورة الأنعام، الآيات ١٥١ – ١٥٣].

(٢) [سورة الحجرات، الآية١٣].

وقد ضرب ﷺ أروع المُثل في مراعاة البُعْد الإنساني في دعوته ﷺ، ومن نماذج ذلك ما كان منه ﷺ عندما قام أعرابي فبال في المسجد وهمَّ به بعض الحاضرين، فَقَالَ لَهُمْ سيدنا رسول الله ﷺ: "دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ"(١).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ، مَهْ، فَقَالَ: "ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا"، قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: "أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟" قَالَ: لَا والله جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ، قَالَ:"وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ" قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟" قَالَ: لَا والله يَا رَسُولَ الله جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ، قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ" قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟"قَالَ: لَا والله جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ، قَالَ:"وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ"، قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟" قَالَ: لَا والله جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ، قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ"، قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟" قَالَ:

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الوضوء، بَابُ صَبِّ المَاءِ عَلَى البَوْلِ فِي المَسْجِدِ، حديث رقم ٢٢٠. وصحيح مسلم، كتاب الطهارة، بَابُ وُجُوبِ غُسْلِ الْبَوْلِ وَغَيْرِهِ مِنَ النَّجَاسَاتِ إِذَا حَصَلَتْ فِي الْمَسْجِدِ، وَأَنَّ الْأَرْضَ تَطْهُرُ بِالْمَاءِ، مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى حَفْرِهَا، حديث رقم ٩٩.

لَا والله جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ! قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ" قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: "اللهمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ"(١)، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ.

وعن معاوية بن الحكم السلمي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ الله، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ؛ مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ ؟! فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي، لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي؛ مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ؛ فوالله: مَا كَهَرَنِي، وَلَا ضَرَبَنِي، وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ: إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ..."(٢).

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، قَالَ: وَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَصَلَّى مَعَ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ قَالَ: يَا رَسُول

(١) مسند أحمد، ج ٣٦ / ص ٥٤٥، حديث رقم ٢٢٢١١.
(٢) صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب تَحْرِيمِ الْكَلَامِ فِي الصَّلَاةِ وَنَسْخِ مَا كَانَ مِنْ إِبَاحَتِهِ، حديث رقم ١٢٢٧.

الله، إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا، فَأَقِمْ فِيَّ كِتَابَ الله، قَالَ: "هَلْ حَضَرْتَ الصَّلَاةَ مَعَنَا؟" قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: "قَدْ غُفِرَ لَكَ"(١)، وفي رواية قال: "فَإِنَّ الله قَدْ غَفَرَ لَكَ حَدَّكَ، أَوْ قَالَ: ذَنْبَكَ"(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله هَلَكْتُ. قَالَ: "مَا لَكَ؟" قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا؟" قَالَ: لاَ، قَالَ: "فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟ قَالَ: لاَ، فَقَالَ: "فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا ؟ قَالَ: لاَ، قَالَ: فَمَكَثَ النَّبِيُّ ﷺ، فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِعَرَقٍ فِيهَا تَمْرٌ "وَالعَرَقُ المِكْتَلُ" قَالَ: "أَيْنَ السَّائِلُ؟" فَقَالَ: أَنَا، قَالَ: "خُذْهَا، فَتَصَدَّقْ بِهِ"، فَقَالَ الرَّجُلُ: أَعَلَى أَفْقَرَ مِنِّي يَا رَسُولَ الله؟ فَوَ الله مَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا "يُرِيدُ الحَرَّتَيْنِ " أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ، ثُمَّ قَالَ: "أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ"(٣).

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب التوبة، بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤]، حديث رقم ٤٤.

(٢) المصدر السابق، الموضع نفسه، حديث رقم ٤٦.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب إِذَا جَامَعَ فِي رَمَضَانَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَيْءٌ فَتُصُدِّقَ عَلَيْهِ فَلْيُكَفِّرْ، حديث رقم ١٩٣٦.

ولَمَّا سلط عليه أهل الطائف عبيدهم وصبيانهم يرمونه بالحجارة، ولجأ إلى ربه ﷻ يدعوه ويضرع إليه، فأرسل ﷻ إليه ملك الجبال يقول له: يا محمد، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال له رسول الله ﷺ: "بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا"(١)، وهنا يقول جبريل عليه السلام: "صدق من سماك الرءوف الرحيم"(٢).

ولما دخل ﷺ مكة فاتحًا منتصرًا، قال: "يا أهل مكة، مَا تَرَوْنَ أَنِّي صَانِعٌ بِكُمْ؟" قَالُوا: خَيْرًا أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ. قَالَ: "اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ"(٣)، وذلك حيث يقول الحق سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾(٤)، ويقول سبحانه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، بَابُ إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: آمِينَ وَالمَلاَئِكَةُ فِي السَّمَاءِ، آمِينَ فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ: حديث رقم ٣٢٢٤. وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب مَا لَقِيَ النَّبِي ﷺ مِنْ أَذَى الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ، حديث رقم ٤٧٥٤.

(٢) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، لمحمد بن عفيفي الباجوري، المعروف بالشيخ الخضري (المتوفى: ١٣٤٥هـ) ط: دار الفيحاء، دمشق. الطبعة: الثانية، ١٤٢٥ هـ، ص: ٦١.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي، كتاب السير، باب فَتْحِ مَكَّةَ حَرَسَهَا اللهُ تَعَالَى، حديث رقم ١٨٧٣٩.

(٤) [آل عمران، الآية ١٥٩].

مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾(١).

وعندما وجد في نفوس بعض الأنصار شيئًا أن فضل عليهم في العطاء بعض حديثي الإسلام جمعهم ﷺ وقال: "يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، مَقَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ؟ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ ؟أَلَمْ آتِكُمْ ضُلاّلًا فَهَدَاكُمْ اللهُ بِي؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللهُ بِي؟ وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟) قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنّ وَأَفْضَلُ، ثُمّ قَالَ: "أَلَا تُجِيبُونِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ؟" قَالُوا: بِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ للهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنّ وَالْفَضْلُ. قَالَ: "أَمَا واللهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَلَصُدّقْتُمْ: "أَتَيْتَنَا مُكَذّبًا فَصَدّقْنَاكَ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَآسَيْنَاكَ"، أَوَجَدْتُمْ عَلَيّ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِكُمْ فِي لُعَاعَةٍ مِنْ الدّنْيَا تَأَلّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا؟، وَوَكَلْتُكُمْ إلَى إسْلَامِكُمْ، أَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النّاسُ بِالشّاءِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللهِ إلَى رِحَالِكُمْ؟ فَوَالّذِي نَفْسُ مُحَمّدٍ بِيَدِهِ لَمَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ، وَلَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَءًا مِنْ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النّاسُ شِعْبًا

(١) [سورة التوبة، الآية ١٢٨].

وَوَادِيًا، وَسَلَكَتْ الْأَنْصَارُ شِعْبًا وَوَادِيًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ وَوَادِيَهَا، الْأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ، اللهمّ ارْحَمْ الْأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ، فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله ﷺ قسمًا وحظًّا"(١).

فليتنا نتأسى ونقتدي به ﷺ في أخلاقنا وفي دعوتنا إلى الله ﷻ.

* * *

(١) مسند أحمد، ج ٢٥/ ص ٨١، حديث رقم ١٢٠٤٩، وأصل الحديث متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب مَنَاقِبُ الأَنْصَارِ، حديث رقم ٣٧٧٨. وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب إِعْطَاءِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ عَلَى الإِسْلاَمِ وَتَصَبُّرِ مَنْ قَوِىَ إِيمَانُهُ، حديث رقم ٢٤٨٦.

وحدة الأصل الإنساني(١)

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾(٢)، وفي هذه الآية أمر من الله تعالى لعباده بتقواه، وتنبيه لهم على قدرته الإلهية التي خلقهم بها من نفس واحدة، والمراد نفس آدم عليه السلام وخلق منها زوجها وهي حواء عليها السلام، ومن آدم وحواء خلق الله تعالى الناس جميعًا رجالًا ونساءً، وبث منهما رجالًا كثيرًا ونساءً، وانتشر الناس في سائر أنحاء الدنيا على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وأشكالهم.

وفي آية أخرى قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ

(١) الأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم، عضو هيئة كبار العلماء، رئيس جامعة الأزهر الأسبق، مصر.
(٢) [سورة النساء، الآية ١].

﴿عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[(١)]، فبين ﷻ أنه خلق الناس من ذكر وأنثى هما آدم وحواء وجعلهم شعوبًا وقبائل[(٢)].

فالناس سواسية في أصل الخليقة، وجميع الخلق في الشرف بالنسبة الطينية إلى آدم وحواء عليهما السلام سواء، وإنما يتفاضلون بطاعة الله تعالى ومتابعة رسوله ﷺ، وما دام الأصل الإنساني واحدًا فلا يصح لأحدٍ أن يستعلي على غيره لأي سبب من مالٍ أو شكلٍ أو لونٍ، فالله ﷻ لا ينظر إلى صور الناس ولا إلى أموالهم، ولكن ينظر إلى قلوبهم وإلى ما تنطوي عليه جوانحهم وضمائرهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ"[(٣)].

كما أن وحدة الأصل الإنساني سبب لإمكانية التواصل وأساس للتعارف والتضامن والتعاطف، فلا يتفرق الناس، ولا يختلفون، ولا يتفاخرون، ولا يتقاتلون، فالحكمة من

(١) [سورة الحجرات، الآية ١٣].
(٢) المصدر السابق، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة، حديث رقم: ٧٣.
(٣) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم، حديث رقم: ٢٥٦٤.

جعلهم شعوبًا وقبائل أن يعرف بعضهم بعضًا، وأن يتعاونوا في عمارة الكون وتنميته.

إن واجب الإنسان أن يشعر بشعور غيره، وأن يخف لنجدته، ويعمل على قضاء حاجته، وإجابة استغاثته دون أن يدعوه أخوه أو يناديه إلى مساعدته؛ بل على كل قادر أن يساعد غيره، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان معتكفًا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه رجل فسلّم عليه، ثم جلس، فقال له ابن عباس رضي الله عنهما: يا فلان أراك كئيبًا حزينًا، قال: نعم يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، لفلان عليَّ حق، لا وحرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أفلا أكلمه فيك؟ قال: إن أحببت، قال: فانتقل ابن عباس رضي الله عنهما ثم خرج من المسجد، فقال له الرجل: أنسيت ما كنت فيه؟ قال: لا ولكني سمعت صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم، والعهد به قريب – فدمعت عيناه – يقول: "مَنْ مَشَى فِي حَاجَةِ أَخِيهِ وَبَلَغَ فِيهَا كَانَ خَيْرًا مِنِ اعْتِكَافِ عَشْرِ سِنِينَ، وَمَنِ اعْتَكَفَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ تَعَالَى جَعَلَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ ثَلَاثَ خَنَادِقَ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْخَافِقَيْنِ"(١).

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي، الصيام، فصل فيمن فطر صائماً، حديث رقم: ٣٦٧٩.

والتعاون بين البشر في الخير والذي يمثله وحدة الأصل الإنساني تستوجب على الجميع أن يكونوا متضامنين في السراء وفي الضراء وفي الأحوال، فإن رآه مظلومًا سعى لرفع الظلم عنه، وإن رآه ظالمًا كفه عن ظلمه، كما قال رسول الله ﷺ: "انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ"(١)، وقال ﷺ: "مَنْ مَشَى مَع مَظْلومٍ يُعينه ثبَّت اللهُ قَدميه على الصِّراط يوم تَزُل الأقدام"(٢).

ويوضح الإسلام أن هذا التَّضامن بين الناس يجعل منهم قوة، وأن الذين يساندون غيرهم أفرادًا ومجتمعات وبلادًا ودولًا يعينهم الله ﷻ ويقرهم على ما هم فيه من نعم وخير، والذين لا يتضامنون ولا يتعاونون ينزع الله تعالى منهم نعمه ليعطيها غيرهم من المتعاونين، فقد قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ للهَّ عِنْدَ أَقْوَام نِعِمًا يُقِرُّهَا عِنْدَهُمْ مَا كَانُوا فِي حَوَائِجِ النَّاسِ، مَا لَمْ يَمَلُّوهُمْ فَإِذَا مَلُّوهُمْ نَقَلَهَا مِنْ عِنْدَهِمْ

(١) صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب أعن أخاك ظالمًا أو مظلومًا، حديث رقم: ٢٤٤٤.
(٢) حلية الأولياء، الأصبهاني، ٦/ ٣٤٨.

إِلَى غَيْرِهِمْ"[1]، وتلك الأيام يداولها الله بين الناس، ومن سنن الله ﷻ في خلقه أنه يبقي النعم عند القائمين على حقها الشاكرين عليها، ويسلبها من الجاحدين الظالمين.

الصراعات بين البشر خروج عن التعاليم الإلهية:

إن التعاليم الإلهية التي جاء بها الإسلام تدعو الناس إلى التعاون، والتضامن، والسلام العالمي، والتعايش السلمى، وتدعو الناس أن يدخلوا في السلم كافة، وأن يكونوا في تعاون وتضامن بعيدين عن كل إيذاء أو عدوان، وأن يكونوا آمنين مسالمين متعاونين.

فلا تقر الشرائع الإلهية ولا الأديان السماوية الصراعات بين البشر؛ لأن الله تعالى خلق البشرية من أصل إنساني واحد، ومن أب واحد وأم واحدة، من أجل أن يشعروا بهذا فينتشر التضامن والتعاون فيما بينهم لبناء حياة آمنة مستقرة، يسعى الناس فيها على اختلاف مشاربهم إلى الأمن والسعادة، وإلى العمل البناء، وإلى إسعاد البشرية ورقيها، وإلى مد يد العون إلى المحتاجين الذين يريدون الخير.

(١) المعجم الأوسط للطبراني، حديث رقم: ٨٣٥٠.

إن الإسلام إذ يدعو إلى السلام والتضامن، ويحث الحضارات على التعاون فإنه لا يقر الصراعات ولا الانقسامات بين البشر، ولا يقر الصراع ولا الصدام بين الحضارات؛ بل إن الإسلام لا يحل لمسلم أن ينظر لغيره نظرة يخيفه بها، ويوضح أن من يفعل ذلك يكون جزاؤه من جنس العمل، حيث يحشر يوم القيامة خائفًا فلا يكون آمنًا يوم القيامة، قال رسول الله ﷺ: "مَنْ نَظَرَ إِلَى أَخِيهِ نَظْرَةً تُخِيفُهُ أَخَافَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"(١)، كما نهى الإسلام عن الإشارة بالحديدة وإن لم يحدث ضرب، قال رسول الله ﷺ: "مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ، حَتَّى يَدَعَهُ وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ"(٢).

ولا يرتاب امرؤ صاحب عقل أن الصراعات مبعثها البُعْد عن التعاليم الإلهية، وأننا عندما نوقن بأن الأصل الإنساني واحد ندرك حتمية أن نكون على قلب رجل واحد، وأن يعيش هذا العالم في سلام عالمي، وتعايش

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي، طاعة ولي الأمر، فصل في التشديد في الظلم، حديث رقم: ٧٠٦٤.
(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم، حديث رقم: ٢٦١٦.

سلمي، وتعاون وتضامن، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾(1).

عالمية الإسلام وتحديات العولمة:

الإسلام دين عالمي، فالرسالة التي بُعث بها الرسول ﷺ رسالة عالمية لا تخص قومًا دون قوم، ولا مكانًا دون مكان، والرسول ﷺ أرسل للناس كافة بشيرًا ونذيرًا، ورحمة للعالمين، وقد وضح القرآن الكريم ذلك حيث بين أن الرسول ﷺ بُعث للعالمين، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾(2)، كما وضح القرآن الكريم أيضًا أن الذين أُرسل إليهم هم كافة الناس، يبشر الطائعين المؤمنين، وينذر المخالفين، فقال الله سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾(3)، وقال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾(4).

(1) [سورة المائدة، الآية ٢].
(2) [سورة الأنبياء، الآية ١٠٧].
(3) [سورة سبأ، الآية ٢٨].
(4) [سورة ص، الآية ٨٧].

إن محتوى هذه الرسالة العالمية ومضمونها وغايتها الرحمة حيث جاء القرآن الكريم بالتعبير الذي يفيد الحصر والقصر في أن الرسالة رحمة للعالمين، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾، وكلمة ﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ تشمل الإنس والجن، والإنسان والحيوان، والنبات والشجر، وسائر المخلوقات؛ بل إنها تشمل أيضًا المؤمنين والكافرين، والطائعين والعاصين.

أما الرحمة للمؤمنين والطائعين فمعروفة، لأنهم أهل لها وجديرون بها، وأما الرحمة بالكافرين والعاصين فذلك في الدنيا حيث يطعمهم الله ﷻ ويسقيهم، ويعيشون في كونه ويستنشقون هواءه، ولو شاء الله تعالى لحرمهم نِعَمَ الوجودِ، ولو شاء لعجّل لهم العقوبة فى الدنيا، أو لأخذهم بعذاب الاستئصال، ولكنها الرحمة التي تستوجب عليهم أن يفكروا بعقولهم، وأن يهتدوا إلى معرفة الخالق الرازق؛ فيؤمنوا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبسيدنا محمد ﷺ نبيًّا ورسولًا.

وهكذا تتميز عالمية الإسلام بأنها ربانية المبدأ والرسالة والمضمون والغاية؛ لأن الله تعالى هو الذي

أرسل الرسول ﷺ، وهو الذي أنزل الكتاب، وهو الرحمن الرحيم.

ومما لا ريب فيه أن للإسلام مشروعه العالمي الحضاري الديني الثقافي الذي يستند إلى وحدة الأصل الإنساني، ويتمثل من أول عهد الإسلام ومنذ فجره الأول في العقيدة التي توحد الأمة وتجمعها بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله -لا نفرق بين أحد من رسله -والإيمان باليوم الآخر وبالقدر، ويتمثل أيضًا في التشريع الإسلامي، وما جاء به من تكاليف وعبادات ومعاملات وأحكام وأخلاق ومبادئ تحرر الفرد والمجتمع من الجهل والفقر والخوف والوهم، تحرره من الخوف على الحياة ومن الخوف على الرزق؛ لأن واهب الحياة هو الله، والرازق هو الله سبحانه وتعالى، وتلك المبادئ تعمل على حماية الثوابت وترسيخ العقيدة والهوية الإسلامية والثقافية والحضارية، قال رسول الله ﷺ:"إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي"(١).

ويتميز المشروع الإسلامي الحضاري بالوسطية، فلا إفراط ولا تفريط، وبأصالته وسماحته مع اعتداله وحرصه

(١) مستدرك الحاكم، كتاب العلم، حديث رقم: ٣١٩.

على إقامة العدل ونصرة الحق والتعايش السلمي والحوار الحضاري الإسلامي للجميع؛ لأنه يرى أن الإنسانية في الإسلام ترجع إلى أصل واحد، حيث قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾(١).

* * *

(١) [سورة الحجرات، الآية ١٣].

الوحدة الإنسانية ومنطلقاتها[1]

إن المتأمل في الجنس البشري يدرك تمام الإدراك وحدة أصله ووحدة مصيره، ومن خلال التأمل والنظر يتبين أن الأمور المشتركة بين البشر كفيلة بتحقيق وحدتهم إذا ما بقيت الفطرة على صفائها ونقائها، وذلك لأن الله تعالى خلق الإنسان لعمارة الأرض وفق منهجه سبحانه، ولا تتحقق عمارة الأرض على الوجه الأكمل إلا بتحقيق منهج الله تعالى وسننه، واتباع قانونه في هذا الكون، وذلك يستلزم تحقيق العبودية الخالصة والكاملة للخالق جل وعلا.

وإذا أمعنا النظر في الطبائع المشتركة والغرائز المتشابهة بين بني البشر يتبين لنا بجلاء أن الناس لا يمكن أن يعيشوا أفرادًا متفرقين؛ بل يستحيل تحقيق ذلك لما جبل الله تعالى عليه الإنسان من غريزة الأنس بالآخرين والعيش معهم؛

(١) أ.د/ فريد بن يعقوب المفتاح، وكيل وزارة العدل والشئون الإسلامية والأوقاف، مملكة البحرين.

فهو كائن اجتماعي بطبعه، لا يمكن أن يعيش بمفرده منعزلًا عن الآخرين، ولكي يعيش الفرد في جماعة لابد أن يلتزم النظم والقوانين التي تحكم وتضبط علاقات الناس وتعاملاتهم، وأن يحترم الأعراف التي تجمعهم، وأن يشكل مع مجتمعه سلسلة مترابطة الحلقات بعضها ببعض.

وقد دعا الإسلام الناس في أرجاء المعمورة إلى تحقيق الوحدة الإنسانية المنشودة، حيث يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾(١)، ويؤكد نبي الإسلام محمد ﷺ وحدة المنشأ والخلق والمصير لقيام ذلك المجتمع الإنساني حيث يذكر ﷺ أن "النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ"(٢).

أولًا: وحدة الأصل الإنساني:

يقول ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ

(١) [سورة الحجرات، الآية ١٣].

(٢) سنن الترمذي، أبواب المناقب، باب في فضل الشام واليمن، حديث رقم: ٣٩٥٥.

﴿ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[1]، وهذه الآية تدلنا دلالة واضحة على وحدة الأصل البشري، ولهذا جاء النداء للناس وليس للمؤمنين أو للمسلمين، فالناس فيهم المؤمن وغير المؤمن، وكأن الله تعالى يذكرهم بوحدة أصلهم؛ ليكون ذلك دافعًا لهم على العمل الجاد لتحقيق وحدتهم في حياتهم، وهذه الوحدة لا بدَّ أن تكون مبنية على الاحترام المتبادل ومراعاة تقوى الله تعالى، وتحقيق العبودية الكاملة له سبحانه؛ لذا فإن التذكير بوحدة الأصل أكبر المبررات والمنطلقات التي تدعونا لفتح الحوار الذي يضع اللبنات الأولى في بنيان الوحدة الإنسانية.

إن الآيات الداعية إلى الوحدة والتي تنطلق من التذكير بوحدة الأصل الإنساني كثيرة، فلا بدَّ من أن يتذكر الإنسان أصل خلقته وتكوينه ليعينه ذلك على التعايش مع أفراد جنسه في مجتمع بشري وإن اختلفت أنماط حياته، وتنوعت توجهاته، وتعددت ملله ومذاهبه، يقول ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ

(١) [سورة النساء، الآية ١].

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(1)، حيث يوجه الله تعالى الناس جميعًا إلى حقيقة واحدة، ألا وهي خلقهم من ذكر وأنثى يعني آدم وحواء؛ ليلفت انتباههم إلى ضرورة ما ذكره سبحانه بعد ذلك من قوله ﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ أي لتتحاوروا وتتفاهموا وتتقاربوا، فهي ترسخ لمفهوم التكامل والتعايش، وتذكر الناس بأصل خلقتهم ليكون ذلك دافعًا لتعارفهم وتآلفهم وإن كانوا شعوبًا متعددة، وقبائل منتشرة، ومجتمعات لها هويات وثقافات متنوعة.

ولا شك أن الأمر بالتعارف يدعو إلى حوارهادئ هادف، يحقق بعد ذلك وحدة إنسانية تقوم على أساس الهدف المشترك الذي يجمع بين أطياف البشر، وهو العيش على هذه الأرض في أمن وسلام ووئام واطمئنان ومحبة.

ثانيًا: وحدة الفطرة البشرية:

إذا كان أصل الإنسانية واحد، فإن الفطرة التي خلق الله ذلك الأصل عليها من الملامح المشتركة بين بني البشر، فالله تعالى خلق آدم على الفطرة، وبالتالي فكل مولود من ذريته

(1) [سورة الحجرات، الآية ١٣].

يولد على هذه الفطرة التي أثبت الله تعالى في كتابه أنها واحدة مع كل البشر قبل أن تتغير بعوامل مكتسبة، حيث يقول سبحانه: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ﴾(1)، فالناس كلهم تجمعهم فطرة واحدة أودعها الله في نفوسهم جميعًا، ولكي ننطلق إلى تحقيق وحدة إنسانية لا بدَّ من تأصيل هذا المبدأ وهو الأخذ بأصل الفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها، فهي فطرة الله الخالصة، دون تغيير أو تبديل؛ ولذلك أضافها الله إلى نفسه بقوله ﷻ: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِۚ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآ﴾(2)، فالفطرة التي فطر الله الناس عليها واحدة، وهي من أهم مبررات ومنطلقات قيام المجتمع البشري الموحد أو المجتمع الإنساني الواحد.

ثالثًا: وحدة الغرائز:

الناس جميعًا على اختلاف ألسنتهم وألوانهم يخضعون لقانون واحد من الطبائع والشهوات، وإن اختلفت قوة

(1) [سورة الروم، الآية ٣٠].

(2) [سورة الأعراف، الآية ١٧٢].

وضعفًا من مجتمع لآخر، فالحاجة إلى الطعام والشراب والنكاح والذرية... إلخ من الغرائز والحاجات الأساسية للنفس البشرية، لا تختلف من شخص إلى آخر ولا من مجتمع إلى آخر إلا في صورة التعبير عنها، وإذا ترك لكل فرد حرية إشباع غريزته على حساب الآخرين لتعطل قانون الحياة الاجتماعية، لذلك نرى أن الله ﷻ وهو الذي خلق الإنسان وأودع فيه هذه الغرائز قد نظم قانون هذه الغرائز بحيث يشبعها الإنسان بعيدًا عن الإضرار بالآخرين أو إيذاء من حوله من بني جنسه، وهذا القانون الرباني قد كفله التشريع السماوي في الشرائع السماوية كافة، فوحدة الغرائز تستلزم توحيد قوانين إشباعها، ومن ثم تعد عاملًا قويًّا من عوامل تحقيق الوحدة الإنسانية.

رابعًا: وحدة الصور الخلقية:

البشر صورتهم الخلقية واحدة، وهي أحسن وأفضل صور المخلوقات الأرضية كما أخبر سبحانه في قوله: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾[1]، أي في أحسن هيئة.

---

(١) [سورة التين، الآية ٤].

ويذكر الله تعالى الإنسان بنعمة إحسان خلقه وجمال هيئته وصورته في عدة مواضع من كتابه يقول ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾[1]، فبنو آدم على هيئة واحدة وإن اختلفت تفاصيل أشكالها وألوانها، وجسم الإنسان وتركيبه يدل على هذه الوحدة الخلقية، وهو ما يدعو إلى نوع من التقارب النفسي والتآلف الروحي، فالمخلوق يأنس بمن هم على مثل صورته، ولولا اتحاد الصورة الخلقية لبني البشر لما حدث بينهم هذا التعارف، ولما تكونت هذه المجتمعات البشرية، ولما حصل هذا العالم الإنساني على وجه الأرض، ومن ثم فإن اتحاد الصورة الخلقية لبني الإنسان مبرر طبيعي لوحدتهم واجتماعهم.

خامسًا: التكريم الإنساني الشامل:

إن إخبار الله تعالى بتكريم بني آدم دون النظر إلى شيء آخر سوى إنسانيتهم التي تجمعهم تحت مظلة واحدة يدل دلالة واضحة على وحدة الأصل الإنساني، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ

---

(١) [سورة الانفطار، الآيات ٦ – ٨].

﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلٗا﴾[1]، فشمول التكريم لبني آدم يدل دلالة واضحة على وحدة أصلهم، وذلك لا شك مبرر قوي لقيام وحدتهم، فكما أن الصورة واحدة، والفطرة واحدة، والغرائز مشتركة؛ فإن التكريم أيضًا عام وشامل لهم جميعًا.

سادسًا: وحدة الهدف:

الأهداف التي يسعى الأفراد لتحقيقها متنوعة لكنها لا تخرج في مجملها عن تحقيق غاية واحدة يسعى الجميع إليها، وهي: السعادة العامة والشاملة، ولتحقيق هذه الغاية، فإن الأفراد يتخذون وسائلَ متنوعة وطرقًا متعددة للوصول إليها.

ثم إن هناك جانبًا آخرَ ألا وهو وحدة الهدف من خلق الإنسان، فالله تعالى خلق الناس جميعًا لهدف واحد وهو عمارة الأرض وفق منهج الله تعالى بتحقيق عبوديته، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2]، فهذا الهدف الذي يجتمع الناس جميعًا عليه حري به أن يحقق وحدتهم.

---

(١) [سورة الإسراء، الآية ٧٠].

(٢) [سورة الذاريات، الآية ٥٦].

سابعًا: وحدة المصير:

كما أن أصل خلق الناس واحد فكذلك مصيرهم واحد، وكما أن بدايتهم واحدة فنهايتهم واحدة، يقول تعالى﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[1]، الناس كلهم يخرجون إلى الدنيا وفق قانون واحد، ويخرجون منها أيضًا وفق قانون واحد، وهذا القانون الذي حدد وجودهم هو الذي حدد نهاية وجودهم، والله وحده هو القادر على ذلك، يقول ﷻ: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾[2]، وقال تعالى:﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾[3].

فإذا كان الأصل واحدًا وكان المصير واحدًا؛ فلماذا لا يكون ذلك مبررًا للوحدة الإنسانية؟ ولا شك أن وحدة الأصل ووحدة المصير وبينهما وحدة الهدف والغرائز والصورة تبرر للعقلاء التنادي بصوت واحد لقيام مجتمع إنساني واحد، أو وحدة إنسانية شاملة.

(١) [سورة آل عمران، الآية ١٨٥].
(٢) [سورة آل عمران، الآية ١٤٥].
(٣) [سورة الأعراف، الآية ٣٤].

وسائل تحقيق الوحدة الإنسانية:

هناك بعض الوسائل التي يمكن من خلالها تحقيق الوحدة الإنسانية، ومن أبرز هذه الوسائل ما يلي:

الإحاطة بمبررات الوحدة الإنسانية وأهميتها ومنطلقاتها:

لابدَّ لدعاة الوحدة الإنسانية من القناعة التامة بضرورتها وأهميتها للأفراد والمجتمعات، ولابد من قناعتهم أيضًا بمدى خطورة غيابها، حيث إن الوحدة الإنسانية تضمن جوًّا عامًّا من التفاهم الذي يقرب وجهات النظر، ويدفع إلى تعاون أكبر في عدد من المجالات التي تصب في صالح الإنسانية عامة، كما أن غياب هذه الوحدة من شأنه أن يعكر صفو العلاقات الإنسانية، ويؤدي إلى خلق أجواء غائمة بالتوجسات من كافة الأطراف، وهذا من شأنه الإضرار بالمجتمع الإنساني عامة، ويدفع إلى دوامة من العداء والحروب التي لا تحصد الإنسانية منها إلا الدمار والخراب والضياع.

لذا فإن العقلاء من كل ملة ومذهب يجب أن تعلو أصواتهم بنداءات التفاهم لتحقيق الوحدة الإنسانية ومن ثم تحقيق الأمن والسلام والرخاء والاستقرار للإنسانية جمعاء، وهذه الغاية لابدَّ من وسائل لتحقيقها، وأهم هذه

الوسائل القناعة التامة أن هناك مبررات واقعية تنطلق من أُسس وقواعد مصيرية يمكن أن تسهم بشكل واقعي في العمل الجاد لوحدة إنسانية يعيش فيها المجتمع البشري متفاهمًا وآمنًا.

اعتماد تأصيل منهجية الحوار الإيجابي والاحترام المتبادل:

الحوار الهادئ والاحترام المتبادل بين الأمم والشعوب والحضارات، وحتى على مستوى الأفراد هو محور التعايش الإيجابي والتفاهم الإنساني، وهو السبيل إلى فهم الآخر والاطّلاع على وجهة نظره وتوجهاته.

ولغياب منهجية الحوار بين الأفراد والمجتمعات والأمم خطورة كبرى، فالحروب والدمار الذي لحق بالعالم في حقب التاريخ المتوالية كان بسبب غياب منهجية الحوار والاعتراف بالآخر، لذا فالحوار والاحترام منهجان بالغان الأهمية في حياتنا الإنسانية؛ حيث يجنبان البشرية ويلات الحروب والآثار المدمرة للصدامات والنزاعات، وبالحوار تتقارب وجهات النظر، ويعرف الإنسان ما له وما عليه تجاه الآخرين، وتدرك كل أمة أهمية تفاعلها الإيجابي مع سائر الأمم، وبهذا نصل إلى وجهة نظر واحدة خلال حوار حضاري هادئ.

ولقد أعطى الإسلام للحوار أبعادًا أخرى لم يسبق للبشرية أن عرفتها؛ بل جعل الإسلام الحوار أساسًا لدعوته وقاعدة لقيام مجتمعه ودولته، قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾[1]، وإذا كان الإسلام قد حث أتباعه على دعوة الآخرين بالحسنى فقد أمرهم بالحوار مع الآخرين بالتي هي أحسن، ويتأكد الحوار الهادئ المبني على الاحترام والثقة المتبادلة بين المسلمين وبين أتباع الرسالات السماوية الأخرى في قوله جل وعلا في محكم التنزيل: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾[2].

بهذا السمو الفكري والتعامل الإيجابي يأمر الإسلام أتباعه، وعلى هذا النهج الحضاري قامت علاقات المسلمين مع غيرهم من أتباع الديانات والمذاهب المختلفة.

احترام التعددية الفكرية والثقافية:

خلق الله الخلق وصوّرهم في صور تختلف عن بعضها في كل التفاصيل أو في بعضها، فهناك تنوع وتعدد في

(١) [سورة النحل، الآية ١٢٥].

(٢) [سورة العنكبوت، الآية ٤٦].

صورة الخلق استلزم تنوعًا وتعددًا في الطباع والعقل والفكر والثقافة... إلخ، ولاشك أن تعدد الصور دليل على تنوع الحاجات والفكر والثقافة والطباع، وكل نوع من المخلوقات لا يكاد يتفق اتفاقًا تامًّا مع بقية الأنواع؛ بل إن الجنس الواحد من هذه المخلوقات يختلف اختلافًا عجيبًا مع أفراد نفس الجنس، فليس الذكر كالأنثى، وليس الشاب كالكهل؛ والأعجب من هذا أننا نرى في فرد واحد من أفراد الجنس ذاته تنوعًا وتباينًا في أمزجته وتوجهاته وأهدافه؛ بل تتغير هذه الأمور تبعًا لتغير الأحوال وتبدُّل المواقف.

وهذا التنوع الدقيق والاختلاف الجبلِّي الطبيعي هو سر التوازن في هذا الكون، فالتنوع يجعل الجميع في حاجة إلى الآخرين، وعلى هذا النمط اختلفت الثقافات وتعددت المدارس الفكرية وتنوعت الحضارات، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ﴾[(١)]، وقال ﷻ: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا

(١) [سورة هود، الآيتان: ١١٨، ١١٩].

﴿بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾[1].

فهذه حكمة التنوع فبدونه يستحيل التعايش؛ بل يستحيل بقاء النوع البشري لما يترتب على عدم وجود الحاجات المشتركة من مشاحنات وخلافات، لذلك قسَّم الله النَّاس وجعلهم درجات ونوّعهم تنويعًا دقيقًا في هيئة الخلق وفيما أودعه في النفس من غرائز وحاجات وعقول، وكما قسم بينهم خلقهم ورزقهم قسم بينهم عقولهم وثقافتهم، وذلك من باب التنوع التكاملي.

والاختلاف الفطري بين البشر يُنتج نوعًا من الاحتكاكات الطبيعية في المواقف الحياتية، وهذا بدوره ينتج نوعًا من التعايش المطلوب بين أفراد الجنس البشري، فالاختلاف في تقدير الأشياء والحكم عليها أمر فطري وله علاقة بالفروق الفردية، وشبكة العلاقات الاجتماعية بين الناس تقوم أساسًا على هذا التنوع؛ إذ لا مجال للتفاعل والاكتساب والعطاء عبر النمطية الواحدة والقدرات المتساوية.

---

(١) [سورة الزخرف، الآية ٣٢].

ولو لم تكن هذه التعددية وهذا التنوع والاختلاف لما كانت حوافز الاستباق ودواعي التدافع وأسباب التنافس بين الأفراد والأمم والأفكار والفلسفات والحضارات، ولكانت الحياة سكونًا آسنًا ومواتًا لا حيوية فيه، ولما استطاع الإنسان تحقيق مقاصد الأمانة التي حملها بالاستخلاف لاستعمار الأرض؛ بينما الاعتماد على وحدة النموذج الفكري والحضاري هو باب التقليد والتشبه، ومن ثم السكون وذبول إمكان الإبداع المفضي إلى الموت.

إن التنوع من أعظم آيات الله الدالة على قدرته تعالى، قال ﷻ: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾[(١)]، فالتعددية والتنوع لا تنفي الوحدة الإنسانية؛ بل ينبغي أن تكون عاملًا من عوامل تقوية الأواصر والصلات.

الحركة الفكرية المنضبطة:

الإسلام دين العلم، والعلم إنتاج العقل، والعقل مناط التكليف، إذًا فالإسلام دين العقل، ولقد أعطى الإسلام

(١) [سورة الروم، الآية ٢٢].

للعقل حريته الكاملة دون حواجز وفق الضوابط العامة التي تكفل حق الحريات للآخرين، والإسلام برعايته للعقل يضمن للطوائف البشرية حرية فكرية تصل إلى درجة حرية المعتقد والتدين، ولذلك جاءت دعوة الإسلام دون إكراه، ودعت إلى تحكيم العقل والتدبر والتفكير، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟﴾[1]، وقال ﷻ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾[2].

لذا نجد أن الإسلام انتشر في الأرض انتشارًا سريعًا وعظيمًا؛ لأنه خاطب العقل، وترك للناس حرية الاختيار دون إكراه، ومن هنا فإن اعترافنا بمبدأ الحرية يجعل الطريق إلى الوحدة الإنسانية قريبًا وممهدًا، لكن ينبغي أن تكون هذه الحرية الفكرية منضبطة باحترام الآخر، ومنطلقة من الثوابت والهوية.

وختامًا.. فالوحدة الإنسانية المنشودة لا تعني أن تذوب الهويات وتتلاشى الخصوصيات؛ بل إن الوحدة المنشودة

---

(١) [سورة سبأ، الآية ٤٦].

(٢) [سورة البقرة، الآية ٢٥٦].

تعني التمسك بالهوية واحـترام الخصوصيات الدينية والثقافية والفكرية لكل أمة، ومحور الوحدة الإنسانية هو قيام مجتمع إنساني آمن تتعايش مجتمعاته في سلام، وفي ظل احترام متبادل يضمن للجميع حرية النمط الثقافي والهوية الفكرية، وكذلك فإن الاحترام المقصود لا يعني وجوب الإقرار؛ بل يعني الاعتراف بحق الاختلاف والتعددية الفكرية والثقافية.

❋ ❋ ❋

الركائز الإنسانية للحضارة الإسلامية[1]

إن القيم الإسلامية لا تعيش بذاتها في عالم مجرد، كما أنها لا تقدم نفسها بنفسها لمن يحتاج إليها ممن يجهلها، وإنما تعيش القيم الإسلامية بتجسدها في الواقع عندما تشكل الذهن، وتصوغ الوجدان، وتوجه السلوك الفردي والجماعي، والمسلمون هم المسئولون عن تجسيد هذه القيم في واقعهم، وتبليغها إلى غيرهم ممن يحتاجون إليها.

ومن هذه القيم الإسلامية أو السنن الإلهية التي ينبغي للمسلمين العمل بها سنة الأخذ بالأسباب، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾[2]، فالله سبحانه وتعالى قادر على التغيير المباشر دون وساطة أو شرط، لكنها سنة سنها الله عز وجل لخلقه يأمرهم بمراعاتها والأخذ بها.

---

(١) أ.د/ بو عبد الله غلام الله، وزير الشئون الدينية والأوقاف سابقًا، الجزائر.

(٢) [سورة الرعد، الآية ١١].

إن الاكتفاء بترديد أن الإسلام هو خير منهج لإسعاد البشرية يظل مجرد ادِّعاء ما لم يبرهن المسلمون على هذه الصلاحية وهذه الخيرية، وذلك بتجسيد قيم الإسلام ومبادئه في واقع حياتهم، وتحقيق كيان حضاري يكون نموذجًا رائدًا يفرض نفسه بذاته وبحسن العرض والإقناع؛ فينجذب إليه الغير عن طواعية واختيار.

لا بد للمسلمين أن يعيشوا قيم الإسلام، ويثيروها، ويبحثوا لها عن تطبيقات تستجيب للمشكلات التي يفرزها الواقع وتتلاءم مع طبيعة العصر ومنطقه وظروفه وملابساته؛ مما يجعل لها نفاذًا في حياة الأمم والجماعات التي يتعايشون معها، وفي هذه الحالة يمكنهم أن يتحدثوا عن خيرية الأمة الإسلامية، وعن الركائز الإنسانية التي تقوم عليها حضارتهم، وعما يمكن أن يقدمه الإسلام للحياة وللعالم حاضرًا ومستقبلًا، وبذلك يستطيعون أن يسهموا في رسم ملامح الغد الجديد للبشرية.

قيمة الكرامة الإنسانية:

إن أول قيمة من القيم الإسلامية التي يحتاجها العالم المعاصر هي الكرامة الإنسانية؛ لأن أول ما تتحقق به سعادة

الإنسان هو شعوره بكرامته كإنسان، من أجل ذلك أولاها الإسلام عناية بالغة فدعا إلى تقديرها واحترامها؛ بل جعل ذلك واجبًا دينيًّا مقدسًا، وهذا الواجب يدركه الإنسان بعقله الذي هو علة هذا التكريم أصلًا، ومعنى ذلك أن الإنسان الحق لا يمكن أن يقع في التناقض بين معتقده وتفكيره وسلوكه؛ لأنها جميعًا تصدر عن هذا العقل، فهي محكومة بميزانه مضبوطة بمقاييسه، فإذا أدرك هذا الإنسان أنه كُرِّم من أجل إنسانيته فكيف يتصور أن يهين إنسانًا آخرَ مثله لأنه يخالفه في عقيدته، أو في تفكيره وقناعاته، لذلك كان من المنطقي أن يقتضي احترام كرامة الإنسان محاربة التعصب والإكراه، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[1]، فهو سبحانه قال: ﴿كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾، أي أن هذا التكريم وقع منذ بدء الخليقة من قبل أن تعرف اعتبارات الجنس والعقيدة، وبهذا المعنى يكون التكريم الإلهي في مخاطبة الناس جميعًا تكريمًا للإنسانية، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ

(١) [سورة الإسراء، الآية ٧٠].

ﭐتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾(١).

من أجل ذلك جعل الإسلام التعبير عن احترام هذا التكريم الإلهي هو الخلق الحسن، أو المعاملة الحسنة المقصودة لذاتها من غير اعتبار لجنس أو دين أو لغة أو ثقافة، قال تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾(٢)، وقال سبحانه: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾(٣)، وقد كان أول من جسد هذه القيمة الخلقية التكريمية للإنسان هو رسول الله ﷺ، حيث إنه وهو يخاطب كفارًا مشركين يقول في تواضع جم: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾(٤)، ويقول: ﴿قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾(٥)، لقد نسب الضلال لنفسه وهو سيد الخلق

(١) [سورة النساء، الآية ١].

(٢) [سورة فصلت، الآية ٣٤].

(٣) [سورة الأعراف، الآية ١٩٩].

(٤) [سورة سبأ، الآية ٢٤].

(٥) [سورة سبأ، الآية ٢٥].

المصطفى ﷺ تساميًا منه بهذا الخلق الإنساني العظيم، ألا وهو تكريم الإنسان كإنسان، هذا الذي خلقه الله في أحسن تقويم، وخصَّه من دون سائر خلقه بالإرادة الحرة والمسئولية، وهيَّأ له من القيم ما يؤهله لمهمته العظيمة ورسالته الجليلة التي هي عمارة الأرض، ولقد أوضح الله تعالى هذه الحكمة من خلال سؤال الملائكة لله ﷻ: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾[1]، فقال سبحانه: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[2]، فقد علَّم آدم ما لم يعلمه للملائكة لأنه شاء سبحانه أن يجعل هذا الإنسان هو المركز، ويجعل كل شيء مسخرًا له في إطار ذلك التكريم.

إن تكريم الإنسان في الإسلام يندرج في إطار فلسفة كاملة متميزة بشموليتها وتكاملها ووحدة مرجعيتها، ومن خصائص هذا التميز أنها لا تنظر إلى الإنسان على أنه موضوع مادي، ومن ثم لا تنظر للمجتمع على أنه كم بشري يمكن صلاحه واستقراره بمجرد توفير شرطي

(١) [سورة البقرة، جزء من الآية: ٣٠].

(٢) [سورة البقرة، جزء من الآية: ٣٠].

الغذاء والأمـن؛ بل تنظر إليه من خلال ذلك التكريم المرتبط ببُعْديه الروحي والمادي، ورسالته على الأرض، وهذه القيمة مرتبطة بالعقيدة.

ولقد دلت تجـارب المجتمعات في تطور حياتها أن احترام الكرامة الإنسانية ينبع من عقيدة صحيحة؛ لضمان الترابط الروحي بين الناس باعتبارهم جميعًا أعضاء أسرة واحدة هي الإنسانية، ولأنها تكبح فيهم كل أنواع التوتر والخصام والصراع والعدوانية، كما تحررهم من كل النزعات الاستعلائية والإقصائية التي تعتبر الأسباب الرئيسة للأزمات والاضطرابات التي قد تعانيها المجتمعات البشرية.

كرامة الإنسان في الإسلام:

كفل الإسلام للإنسان الحق في الحياة، والأمن، والعدل، والملكية، والتنقل، وكفل له حرية المعتقد والرأي، وما إلى ذلك من الحريات والحقوق المعروفة اليوم بالحقوق المدنية والسياسية، والتي ترسِّخ لكرامة الإنسان وتحفظها، ونحن عندما نتحدث عن حاجة العالم المعاصر إلى القيم الإسلامية فإننا لا نعني ابتكار حقوق جديدة، ولنأخذ لذلك مثلًا يجلي هذه الحقيقة: إن حق التصرف في الملكية الخاصة مكفول

في الحضارة المعاصرة، لكن الإنسان عندما يمارس هذا الحق قد يضيق بالإنفاق على والديه مثلًا، كما أنه قد يحرم أقاربه من مساعدة تنقذهم من الفاقة والعوز، هذا السلوك لا يبيحه الإسلام: "أَنْتَ وَمَالُكَ لِوَالِدِكَ"(١) كما قال عليه الصلاة والسلام، والملكية في الإسلام إنما هي في الأصل أمانة، والإنسان مستخلف فيها ومسئول عنها وفق ما أمره الشرع؛ لتعود بالخير عليه وعلى المجتمع.

قيمة العدل والمساواة:

إن قيمة الكرامة الإنسانية تستتبع الحديث عن قيمة العدالة التي تعتبر مقصدًا عامًّا لجميع التشريعات، ومعنى جوهريًّا وهدفًا لجميع القوانين؛ لأنه من دون عدالة لا يمكن تحقيق المساواة بين الناس بعد أن تساووا في الكرامة الإنسانية باعتبارهم جميعًا عيال الله ﷻ، لا اعتبار في ذلك لجنس أو عقيدة أو لغة أو جاه أو سلطة أو نسب.

وما أحوج عالمنا إلى هذه القيمة بمفهومها الإسلامي المتميز، وهذا التميز يأتي من كون الخالق ﷻ كتب على

---

(١) ســنن أبي داود، كتاب أبواب الإجارة، باب في الرجل يأكل من مال ولده، حديث رقم: ٣٥٣٠، وسنن ابن ماجه كتاب الإجارات، باب ما للرجل من مال ولده، حديث رقم: ٢٢٩١.

نفسه العدل بين خلقه ثم ألزمهم به، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1]، وفي مجال الخصومات يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾[2]، وفي مجال علاقة المجتمع الإسلامي بغيره من المجتمعات يقول تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[3]، والحقيقة أن جميع آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن أساليب الحياة الصحيحة السليمة نجدها مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بقيمة العدل؛ فقد أوصت بالعدل في العلاقة الزوجية، وبين الأولاد، وتحريم الربا حتى لا يستغل الغني الفقير، وضمان حق الفرد في المنافع العامة، وهو ما يسمى اليوم بالحق الاقتصادي.

(١) [سورة الأنعام، الآية ١٥٢].
(٢) [سورة النساء، الآية ٥٨].
(٣) [سورة الممتحنة، الآية ٨].

وتاريخ الإسلام حافل بالأمثلة التي لم يشهدها التاريخ من قبل، فكم من مرة تساوى فيها خليفة المؤمنين ورجل من أهل الكتاب، ولا عجب بعد أن يقول سيد المرسلين ﷺ: "إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا"(١).

قيمة المعرفة:

ما من شك في أن جميع الأمم والمجتمعات تقدر المعرفة وتقدر العلم الذي لا تنهض حياة بدونه، ولا تنمو حضارة بغيره، والذي يقدمه الإسلام ليس قيمة المعرفة في ذاتها، ولكن يقدم الفلسفة المتميزة التي تقوم عليها من حيث المصادر والغاية، فالمعرفة في المنظور الإسلامي من أعظم النعم التي خُصّ بها الإنسان، فبالعلم الذي وهبه الله تبارك وتعالى لآدم استحق سجود الملائكة له، وبه كملت أهليته لعمارة الأرض وتحقيق العبودية فيها لله سبحانه وتعالى.

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، حديث رقم: ٣٤٧٥.

والمعرفة في الإسلام متميزة بخصائص ذاتية سواء في مرجعيتها أو وظيفتها، وهذه الخصائص هي ثمرة عقيدة التوحيد، فعالم الغيب نهتدي إليه من خلال التدبر والتفكر في عالم الشهادة بتوجيه الوحي، والإنسان سيد في الكون المسخر له، وهو عبد الله الذي خلقه وكرمه بالعقل الذي يقوم بوظيفتين متكاملتين، الأولى: استكناه أسرار المادة للتحكم فيها باعتبارها من سنن الله في خلقه، والثانية: تعميق الإيمان بالله تعالى بالنظر في بديع خلقه.

إن تعطيل الوظيفة الثانية يجرد قيمة المعرفة من بُعْدها العقدي الأخلاقي الإنساني، ويعطل مصدرها الثاني إلى جانب العقل، وهو القلب، وبيان ذلك أن هناك عالمين: العالم الحسيّ الظاهر وقد زودنا الله تعالى بوسائل إدراكه وهي الحواس والعقل، والعالم الغيبيّ وقد زودنا الله تعالى بوسائل إدراكٍ له باطنية، والإنسان قد ينكر هذا المصدر الثاني للمعرفة، مما يجعله حبيس أحد شطري الحقيقة ألا وهو الشطر المادي.

إن ما يميز قيمة المعرفة في الإسلام أن الإنسان أكبر من العقل وأكبر من الحواس؛ لأن له من وسائل الإدراك

الحقيقية وتحصيل العلم والمعرفة ما هو أكثر يقينية في دلالته من الحواس والعقل؛ يقول تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(1)، إن السمع والبصر من الحواس ومن وسائل الإدراك التي نجدها عند علماء المناهج ومنظري المعرفة الإنسانية والمؤرخين لها، لكن الأفئدة لا نجد لها أثرًا عندهم لا قديمًا ولا حديثًا، وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾(2).

إن القرآن الكريم يصف أحيانًا القلب بالعقل، ويصفه أحيانًا بالفقه، وهو كما نعلم جميعًا مرتبة أعلى من عقل الأمر والعلم به، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾(3)، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾(4)، فالقلب في القرآن الكريم يوصف

(1) [سورة النحل، الآية ٧٨].

(2) [سورة الإسراء، الآية ٣٦].

(3) [سورة الأعراف، الآية ١٧٩].

(4) [سورة الحج، الآية ٤٦].

بالعقـل وبالفقه وبالعمى لأنه وسـيلة من وسـائل الإدراك الباطنيـة، ومـن هنـا كان الخاصية الأساسـية المميـزة لقيمة المعرفة في الإسـلام.

كما أن القرآن الكريم لم يستعمل كلمة العقل كمصدر للمعرفة بل استعمل الفعل يعقلون؛ لأن القرآن لا يقر بوجود جوهر مستقل بذاته هو مصدر المعرفة، فمصادر المعرفة في الإسلام هي الحواس والتعقل والفؤاد؛ لذلك كانت هناك ثلاث مجالات للمعرفة، وهي: العلم بالله سبحانه، قال تعالى:﴿ **فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ** ﴾[1]، وهذا معناه إدراك أصل الخلق والعلة من الوجود، ورسالة الإنسان على الأرض، ومصيره بعد الموت، والعلم بشريعته سبحانه حتى يهتم بتلك الرسالة كما يحب خالقه ويرضاه، وحتى يضمن الاستقامة كما أمر، والعلم بالكون وبالطبيعة سواء أكان هذا العلم تجريبيًّا طبيعيًّا أم إنسانيًّا، كل ذلك مع الأخذ بالأسباب من أجل إسعاد البشرية؛ لأن العلم في الإسلام لا يتصور إلا نافعًا هاديًا مرشدًا.

---

(١) [سورة محمد، الآية ١٩].

فلا غرابة بعد ذلك كله أن يوجب الإسلام العلم ويجعله فريضة على كل مسلم ومسلمة؛ ويكرم العلماء، فيجعلهم ورثة الأنبياء، ويزن يوم القيامة مدادهم بدماء الشهداء، يقول تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[1]، وإذا كان التوحيد هو أصل كل الأصول في الإسلام، إلا أن أول ما طلبه الوحي من الإنسان هو القراءة؛ لأن العقيدة نفسها لا تقوم إلا على العلم.

فمعنى أن يكون الإنسان إنسانًا هو أن يكون عالمًا، ومعنى أن يكون مؤمنًا هو أن يقوده علمه إلى الإيمان، مع الإشارة إلى أن القرآن الكريم يفرق بشكل واضح بين العلم والمعرفة، فالعلم: هو الإدراك المباشر الكلي اليقيني، وهذا لا يكون إلا لله وحده، أما بالنسبة للإنسان فالعلم نسبي ومقيد ولا يكون إلا بواسطة، فلا يقال في الإسلام: علمت الله، بل يقال: عرفت الله، لأن هذه المعرفة تكون بواسطة، أي تكون بعد الإيمان بالله والنظر في ملكوته وبديع صنعه وخلقه، بمعنى أن الإنسان كلما ازداد معرفة بسنن الله ازداد

(١) [سورة المجادلة، الآية ١١].

معرفة به سبحانه وخشية له، ومن هنا كانت علاقة الخشية بالعلم، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[1]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[2].

هذه السببية أو الواسطة المعرفية هي إحدى خصائص قيمة المعرفة في الإسلام؛ لأنها تتصل بالإيمان من جهة وتتصل بمسئولية الإنسان في عمارة الأرض من جهة أخرى، وهي العلة من وجوده، وإدراك رسالته، وعلاقته بخالقه، ومن هنا تميزت علاقة الإنسان بالكون والطبيعة في المنظور الإسلامي، فالطبيعة فضاء لمعرفته وليست محيطًا ماديًّا عدوانيًّا له، فهناك صلة وألفة وتكامل ومودة بين الإنسان والطبيعة.

وختامًا.. فإن العلم نعمة، لكنه إذا لم يتقيد بعقيدة تضمن حسن استثماره باعتباره وسيلة لإسعاد البشرية، فإنه قد يتحول إلى نقمة تهدد هذه البشرية بالهلاك لغياب الوازع الديني والأخلاقي، كما أنه مع حفظ كرامة الإنسان والعدل بين الناس من الركائز الإنسانية للحضارة الإسلامية.

---

(١) [سورة البقرة، الآية ٢٨٢].

(٢) [سورة فاطر، الآية ٢٨].

الإنسان ومنزلته في الإسلام(١)

لقد بينت الشريعة الإسلامية مدى اهتمام الإسلام بالإنسان بصورة غير معهودة في النظم القديمة والحديثة؛ من حيث الاهتمام به قبل الوجود وبعد الممات، والاهتمام به في مراحل حياته المختلفة، والاهتمام به جسدًا وروحًا، والاهتمام بغرائزه وعواطفه، والاهتمام به مفكرًا، والاهتمام به فردًا وأسرة ومجتمعًا، كما وضعت له من القواعد والآداب ما تستقيم به حياته دون اعتبار للون أو جنس أو عرف، وبصَّرته بما يكسبه سعادة الدارين، وهذه هي غاية الإسلام "تحقيق السعادة والسلام"، وقد أظهر الإسلام منزلة الإنسان بين سائر المخلوقات بإبراز بعض السمات الإنسانية التي امتن الله ﷻ بها عليه ونبهه إليها، ومن ذلك ما يلي:

---

(١) أ. د/ بكر زكي إبراهيم عوض، عميد كلية أصول الدين، جامعة الأزهر سابقًا.

١- حسن وجمال الخلق:

ونصوص القرآن الكريم واضحة الدلالة في هذا، قال تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾[1]، وقال ﷻ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[2]، وقال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[3].

وإذا كان كثيرون قد ركزوا على جمال البنيان، وقارنوا بين صورة الإنسان وصورة غيره من المخلوقات الأخرى، فقد فاتهم صور من الجمال لم يهتموا بها وأخصها بالذكر العقل، وهو مناط الجمال الحقيقي في الإنسان، ومن مناط الجمال البيان، وهو من نعم الله ﷻ على الإنسان، قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١

(١) [سورة الانفطار، الآيات: ٥- ٨].

(٢) [سورة التين، الآية ٤].

(٣) [سورة غافر: ٦٤].

عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾[1]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ۝٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ۝٩ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾[2]، وقد فاوت الحق بين الخلق في هذه الخاصية، حتى إن أحدهم ليأخذ بالعقول والقلوب إذا تكلم، وفي الحديث: «إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكْمَةً»[3]، "إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا"[4]، وفي الحديث أيضًا بحق شعيب عليه السلام أنه "خَطِيبُ الْأَنْبِيَاءِ"[5]، ومما ذكره الرسول ﷺ بحق نفسه قوله: "وَأُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ"[6].

ومن مناط الجمال بالإنسان تركيب وسائل المعرفة فيه وقيامها به، فليس الإنسان آلة صماء تحركها الرياح أو الأمواج أو التيارات الكهربائية بل قامت به آلات شتى، منها ذاتي العمل بقدرة الله وهو ما لا تصح الحياة

(١) [سورة الرحمن، الآيات: ١ – ٤].
(٢) [سورة البلد، الآيات: ٨ – ١٠].
(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر، حديث رقم: ٦١٤٥.
(٤) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الخطبة، حديث رقم: ٥١٤٦.
(٥) مستدرك الحاكم، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، ذكر شعيب النبي، حديث رقم: ٤٠٧١.
(٦) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، حديث رقم: ٥٢٣.

إلا بـه، كالقلـب والـكلى والجهـاز الهضمـي والتنفـسي، ومنهـا مـا يتحكم الإنسـان في حركته، وقد وضع الإسـلام آدابًـا لـه عنـد الانتفـاع بهـا، قـال تعـالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(١)، مع النـص على مسـئولية الإنسـان عن اسـتخدام هـذه الآلات وحثه على حسـن الانتفـاع بها، قال تعـالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[٢].

ومـن منـاط الجـمال في الإنسـان الإرادة المغروسـة فيه، والإنعـام عليـه بنعمـة الأمل، وبالقـدرة عـلى الاختيار بين البدائـل، ويصل ذلـك الأمر إلى حد الاختيـار في الاعتقاد، قـال تعـالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[٣]، وقـال ﷻ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى

(١) [سورة النحل، الآية ٧٨].
(٢) [سورة الإسراء، الآية ٣٦].
(٣) [سورة الكهف، الآية ٢٩].

ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾(1)، ولابد في الإسلام من ضبط الإرادة لتحديد مسئولياتها الاجتماعية، فعنها ينشأ الضمير الحي الواعي الذي يرسم السبيل الواضحة لمن أراد لنفسه الهدى، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾(2)، وكما قال الرسول ﷺ: "لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً، تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا"(3)، فالإرادة هي الفارق الحاسم بين الإنسان والحيوان، ومناط المسئولية للفرد والمجتمع في نظر الإسلام، وأما الأمل فهو باعث على العمل ودافع إلى الإعمار.

٢- إعلاء شأن الإنسان منذ الخلق الأول له:

وقد تجلى هذا التكريم وإعلاء الشأن في خلق الأرض وتهيئتها على خير ما تكون التهيئة لسكنى الإنسان،

(١) [سورة الشورى، الآية ٢٠].

(٢) [سورة المزمل، الآية ١٩].

(٣) سنن الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في الإحسان والعفو، حديث رقم: ٢٠٠٧.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ﴾[1].

كما أعلم الملائكة بهذا المخلوق الجديد، وأضفى عليه صفة الخلافة، وهي صفة لم تعط لغير الإنسان، قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ﴾[2]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ﴾[3].

كما لم يرد في القرآن الكريم سجود الملائكة لغير الله عز وجل ومن أمرهم الله بالسجود له، وقد يكون الأمر بالسجود لآدم سجود تحية وتقدير على ما عرفه العرب من لغتهم وما ألفوه من سلوكهم، وبه ورد النص في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗا﴾[4]، غير أن العبرة بالأمر الإلهي ودلالته على تكريم الإنسان.

---

(١) [سورة فصلت، الآية ١٠].
(٢) [سورة الحديد، الآية ٧].
(٣) [سورة الأنعام، الآية ١٦٥].
(٤) [سورة يوسف، الآية ١٠٠].

٣- خلق الأشياء لأجل الإنسان وخلقه للعبادة:

ونصوص القرآن في هذا الصدد كثيرة، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾(١)، وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾(٢)، وقال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّر لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾(٣)، وقال ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(٤)، وآيات التسخير قد تناولت البر والبحر والجو بكل ما في هذه الأقسام من مفردات، مع التصريح بأن

(١) [سورة البقرة، الآية ٢٩].

(٢) [سورة الجاثية، الآية ١٣].

(٣) [سورة إبراهيم، الآيتان: ٣٢، ٣٣].

(٤) [سورة النحل، الآية ١٤].

التسـخير للإنسـان وليس للمسـلمين وحدهـم، وفيه لفت نظـر المسلمين إلى التـماس أسـباب الرقـي في هـذه الحيـاة، والأخذ بالأسـباب.

٤- إكرام جسد الإنسان حال حياته وبعد مماته:

فـكل الكائنـات الحيـة لا تخضـع لمـا يخضع له الإنسـان مـن إكـرام، بـل منها مـا يذبـح ويـؤكل، ومنهـا مـا يلقى في الخـلاء والعـراء، وأمـا الإنسـان فجسـده محـل احـترام وتقديـر حـال الحيـاة وبعـد الممات، فـلا يجـوز التمثيـل به ولا القتـل صـبرًا ولا كسر جزء منه ولا التشـهير بالجسـد، بـل دفنـه فـرض كفايـة في الإسـلام وإن كان الميـت عـلى غـير الإسـلام حتـى لا تأكلـه السـباع أو تنهشـه الذئـاب، ويتلطـف في مـواراة جسـده الـتراب، فـلا عنـف ولا حدة ولا قسـوة، حتـى لا يصـاب الجسـد بـأذي.

٥- إسقاط معتقدات الجاهلية:

صرح الإسـلام باتحـاد البشريـة في المنشـأ، قـال تعـالى: ﴿**هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا**﴾[(١)]، وقـال ﷻ: ﴿**خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ**

(١) [سورة الأعراف، الآية ١٨٩].

ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا ﴾[1]، وفي الحديث: «النَّاسُ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ»[2]، كما صرح الإسلام باستواء الرجل مع المرأة في التكاليف الشرعية، وجعل تأديبها وتعليمها وكفالتها من موجبات الجنة، وجعل لها حقًّا في الإرث والنفقة، واختيار الزوج، والتصرفات المالية، وفسخ الحياة الزوجية إذا تعذرت العشرة من وجهة نظرها، على أن تتحمل ثمن الفسخ بتعويض الرجل عن الضرر الذي قد يلحقه، كما أنه يعوضها عن الضرر الذي قد يلحقها، وفي الحديث: «أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى»[3].

من جوانب الاهتمام بالإنسان:

اهتمت الشريعة الإسلامية برعاية الإنسان بصورة لم تعرفها البشرية في الماضي والحاضر، ويمكن بيان هذا الاهتمام في الجوانب الآتية:

---

(١) [سورة الزمر، الآية ٦].

(٢) مسند أحمد، حديث رقم: ٨٧٣٦.

(٣) مسند أحمد، حديث رقم: ٢٣٤٨٩.

- الاهتمام بالإنسان قبل وجوده: حثت الشريعة الإسلامية على حسن اختيار الزوج قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾(١)، وفي الحديث: «وَلَأَمَةٌ خَرْمَاءُ سَوْدَاءُ ذَاتُ دِينٍ أَفْضَلُ»(٢)، «فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ»(٣)، «مَا اسْتَفَادَ الْمُؤْمِنُ بَعْدَ تَقْوَى اللهِ خَيْرًا لَهُ مِنْ زَوْجَةٍ صَالِحَةٍ، إِنْ أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ، وَإِنْ نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ، وَإِنْ أَقْسَمَ عَلَيْهَا أَبَرَّتْهُ، وَإِنْ غَابَ عَنْهَا نَصَحَتْهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ»(٤).

وكما حث الإسلام الرجال على اختيار الزوجة الصالحة باعتبار أن المرأة تربة الإنبات، فلم يهمل النصيحة إلى ولي أمر المرأة وإلى المرأة نفسها في التركيز على الرجل الصالح، وفي الحديث: «إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ»(٥).

(١) [سورة النور، الآية ٣٢].
(٢) سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، باب تزويج ذات الدين، حديث رقم: ١٨٥٩.
(٣) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، حديث رقم: ٥٠٩٠.
(٤) سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، باب أفضل النساء، حديث رقم: ١٨٥٧.
(٥) سنن الترمذي، أبواب النكاح، باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه، حديث رقم: ١٠٨٥.

الاهتمام بالإنسان بعد وفاته: المتوفى في ديار الإسلام إما أن يكون مسلمًا أو غير مسلم، إن كان مسلمًا وجب له على المسلمين غسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه وجوبًا كفائيًّا، ويكون عينيًّا إذا لم يحضر المتوفى إلا فرد أو عدد محدد، كما يجب سداد الدين عنه ويتحمل ذلك ورثته أخذًا بقاعدة الغُرم بالغُنم، وذكره بكل خير وحرمة ذكره بسوء، وفي الحديث: «اذْكُرُوا مَحَاسِنَ مَوْتَاكُمْ، وَكُفُّوا عَنْ مَسَاوِيهِمْ»[1].

وإذا كان الميت على غير الإسلام فإن أهله يتولون أمره بحسب طقوسهم في إطار الحرية الدينية التي كفلها الإسلام لهم، فإن لم يوجد من أهله من يقوم بذلك وجب على المسلمين دفنه مع ستر جسده.

- الاهتمام بالإنسان في مراحل حياته المختلفة: نظرة الإسلام إلى الإنسان تقوم على أساس تقديره من اللحظات الأولى لتكوينه حتى ملاقاته لربه، ففي حال كونه جنينًا صرح الإسلام بحرمة الجنين وحرمة قتله واحترامه ما دامت فيه الحياة، وجعل في قتله عوضًا،

(١) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في النهي عن سب الموتى، حديث رقم: ٤٩٠٠.

وفي حال الميلاد لم يفرق الإسلام بين الذكر والأنثى خلافًا لما كان في الجاهلية، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ ٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾[1]، وقد حرم الله ﷻ ذلك صراحة في آيات عدة منها قوله ﷻ: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡ﴾[2].

وقد حمَّل الإسلام الرجل مسئوليته الاجتماعية تجاه ولده، وحمَّل المرأة مسئوليتها الأدبية والاجتماعية تجاه ولدها، يجمع ذلك قول الحق سبحانه: ﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا

(١) [سورة النحل، الآيتان ٥٨، ٥٩].
(٢) [سورة الأنعام، الآية ١٥١].

﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾[1]، كما أوجب الإسلام العدل بين الأولاد في المعاملة الحسنة، وفي الحديث: «وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ»[2].

ولم يكن اهتمام الإسلام بالإنسان قاصرًا على مرحلة الطفولة، بل أشار الإسلام إلى المراحل السنية المختلفة للإنسان وما يتعلق بكل مرحلة، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾[3]، وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾[4].

---

(١) [سورة البقرة، الآية ٢٣٣].

(٢) صحيح البخاري، كتاب الهبة، باب الإشهاد في الهبة، حديث رقم: ٢٥٨٧.

(٣) [سورة الروم، الآية ٥٤].

(٤) [سورة الحج، الآية ٥].

- الاهتمام بالإنسان جسدًا وروحًا: الإنسان مكون من شق مادي محسوس هو الجسد، وسر خفي به حياة الجسد هو الروح، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾(١)، وقد حرص الإسلام على تحقيق التوازن بين الجسد والروح كما حرص على عدم خروج الإنسان عن إنسانيته إلى الملائكية أو البهيمية، وبيان ذلك فيما يلي:

١-وجوب تناول الطعام والشراب لتغذية الجسد وتنميته، قال تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ﴾(٢)، وقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾(٣)، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «كُلْ مَا شِئْتَ، وَالْبَسْ مَا شِئْتَ، مَا أَخْطَأَتْكَ اثْنَتَانِ: سَرَفٌ أَوْ مَخِيلَةٌ»(٤)، كما يحرم تناول كل ما يؤذي الجسد إلا للضرورة، قال ﷻ:

(١) [سورة الحجر، الآية ٢٩].

(٢) [سورة الأعراف، الآية ٣١].

(٣) [سورة البقرة، الآية ١٧٢].

(٤) المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر الدينوري، حديث رقم: ١٦٠١، ٤/ ٤٠٦. وأصله عند والبخاري ولفظه: «وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُوا وَاشْرَبُوا وَالبَسُوا وَتَصَدَّقُوا، فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلاَ مَخِيلَةٍ» وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: « كُلْ مَا شِئْتَ، وَالبَسْ مَا شِئْتَ، مَا أَخْطَأَتْكَ اثْنَتَانِ: سَرَفٌ، أَوْ مَخِيلَةٌ «كتاب اللباس، باب منه.

﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾[1]، وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[2]، وقد ورد في السنة تحريم كل مسكر ومفتر، ففي الحديث: «مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ، فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ»[3]، «كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ»[4].

٢- أوجب الإسلام العمل بقاعدة الوقاية خير من العلاج، وهو أوضح ما يكون في نهي الرسول ﷺ عن النزول في مواطن العدوى أو الخروج منها بعد حلول المرض المعدي بها، كما ورد بحق الطاعون: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ»[5]، وعملاً بقاعدة الوقاية خير من العلاج أوجب الإسلام النظافة، ومن سلامة الجسد في الإسلام بناء على نظافته: تقليم الأظافر، ونتف

(١) [سورة الأعراف، الآية ١٥٧].

(٢) [سورة المائدة، الآية ٩٠].

(٣) سنن أبي داود، كتاب الأشربة، باب النهي عن المسكر، حديث رقم: ٣٦٨١.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب بيان أن كل مسكر خمر، حديث رقم: ٢٠٠٣.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، حديث رقم: ٥٧٢٩.

الأبـط، وأخـذ العانـة، وترجيـل الشـعر وتسريحـه، ولبس الثيـاب الحسـن، وتخليل الأصابع، وإظهار الإنسـان نفسـه في أفضـل مظهـر، فعندمـا دخـل رجـل عـلى الرسـول ﷺ ثائـر الـرأس رث الثياب أنكر عليه الرسـول ذلـك، وقال: «أَمَّـا يَجِـدُ هَذَا مَـا يُنَقِّي بِـهِ ثِيَابَـهُ؟»[1].

٣- أوجـب الإسـلام التـداوي، وفي السـنة الكثـير من الأحاديـث التـي تدعـو إلى ذلـك، ورسـول الله ﷺ كان يـمارس التطبيـب لنفسـه، وأحيانًا يطبـه غيره، وفي السـنة: «إِنَّ اللهَّ ﷻ لَمْ يُنْـزِلْ دَاءً إِلَّا أَنْـزَلَ لَـهُ شِـفَاء»[2]، وفي حديث آخر: «تَـدَاوَوْا فَـإِنَّ اللهَّ ﷻ لَمْ يَضَـعْ دَاءً إِلَّا وَضَـعَ لَـهُ دَوَاءً، غَـيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ الْهَـرَمُ»[3].

٤- النهـي عـن الغلـو والإفـراط في العبـادة، قـال تعـالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[4]، وقال ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾[5]، وقـال ﷻ: ﴿فَٱتَّقُواْ

---

(١) المستدرك للحاكم، كتاب اللباس، حديث رقم: ٧٣٨٠.

(٢) مسند أحمد، حديث رقم: ٤٢٣٦.

(٣) سنن أبي داود، كتاب الطب، باب في الرجل يتداوى، حديث رقم: ٣٨٥٥.

(٤) [سورة البقرة، الآية ٢٨٦].

(٥) [سورة الطلاق، الآية ٧].

﴿ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾[3]، والتكاليف الشرعية تحرص على سلامة الجسد لا هلاكه، وفي الحديث: «أَلَا هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ»[4]، «إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ، فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ»[5]، «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»[6]، «فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ لاَ أَرْضًا قَطَعَ، وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى»[7].

٥- تحقيق السعادة لروح الإنسان، وذلك يكون من طرق شتي، ومنها:

العبادات المفروضة: وكان الرسول ﷺ كلما اشتدت به الشدائد فزع إلى ربه، عملًا بقوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ

(١) [سورة التغابن، الآية ١٦].

(٢) [سورة البقرة، الآية ١٩٥].

(٣) [سورة النساء، الآية ٢٩].

(٤) مسند أحمد، حديث رقم: ٣٦٥٥.

(٥) مسند أحمد، حديث رقم: ١٣٠٥٢.

(٦) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، حديث رقم: ٣٩.

(٧) السنن الكبرى للبيهقي، جماع أبواب صلاة التطوع، باب القصد في العبادة، حديث رقم: ٤٧٤٣.

﴿بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[1]، وكان ينادي على بلال قائلاً له: «يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها»[2].

الذكر: وأفضله تلاوة القرآن، وفي الحديث: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»[3]، «أَفْضَلُ عِبَادَةِ أُمَّتِي قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ»[4]، وقد ورد الأمر بذكر الله كثيرًا، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾[5]، وقال ﷻ: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾[6]، وقال ﷻ: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾[7]، وقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ

(١) [سورة البقرة، الآية ٤٥].
(٢) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في صلاة العتمة، حديث رقم: ٤٩٨٥.
(٣) سنن الترمذي، أبواب الأدب، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة، حديث رقم: ٣٣٨٣.
(٤) شعب الإيمان للبيهقي، تعظيم القرآن، فصل في إدمان تلاوة القرآن، حديث رقم: ١٨٦٥.
(٥) [سورة آل عمران، الآية ١٩١].
(٦) [سورة الطور، الآيتان ٤٨، ٤٩].
(٧) [سورة الإسراء، الآية ١١٠].

ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ﴾(١).

التأمل والتفكر: وما أكثره وأيسره في الكون بل في الإنسان نفسه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾(٢)، وقد كثر الأمر بالنظر في الكون لإدراك الجمال والكمال فيه؛ بل الكون كله محل نظر وتأمل، ومن خاض في أسرار الكون تحقق لروحه قدر من الشبع لا يتحقق للمعرضين، قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾(٣)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ ﴾(٤).

فعل الخير: وهو شعور ينتاب من فطر عليه، وفي الحديث: «وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بِهَا

(١) [سورة الأعراف، الآيتان ٢٠٥، ٢٠٦].
(٢) [سورة الانفطار، الآيات ٦ : ٨].
(٣) [سورة يونس، الآية١٠١].
(٤) [سورة الروم، الآية ٨].

كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[(١)]، «الخَلْقُ عِيَالُ اللهِ وَأَحَبُّهُمْ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لعياله»[(٢)].

الاهتمام بالإنسان من حيث غرائزه وعواطفه: الإنسان صنعة الله تعالى، وقد ركب الله فيه غرائز شتى، ولم يشأ الحق أن يحرم الإنسان من إشباع هذه الغرائز ولكنه جعل للإشباع آدابًا وحدودًا، فلم يأذن بالإفراط أو التفريط، ومما اهتم به الإسلام من غرائز تتعلق بالإنسان ما يلي:

غريزة حب السلامة والبقاء: قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾[(٣)]، وقال ﷻ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[(٤)].

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، حديث رقم: ٢٤٤٢، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، حديث رقم: ٢٥٨٠. واللفظ لمسلم.

(٢) مسند البزار، حديث رقم: ٦٩٤٧.

(٣) [سورة النساء، الآية ٢٩].

(٤) [سورة النساء، الآية ٩٣].

غريـزة التملـك: وهـي من أقـوى الغرائز في الإنسـان، وقـد هـذب الإسـلام هـذه الغريزة، قـال تعالـى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾(١)، وقـال تعـالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾(٢)، وبـين الحـق ﷻ منزلة حـب المـال فقـال ﷻ: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾(٣)، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾(٤)، كـما صرح بـأن المـال وسـيلة وليس غايـة، قال تعـالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾(٥)؛ ولذلـك أذن الإسـلام بالتملـك من الطـرق المشروعة (العمـل - الإرث - الهبة)، وأوجـب الإنفـاق في الطـرق المشروعة (عـلى النفس، ومن

(١) [سورة آل عمران، الآية ١٤].
(٢) [سورة الكهف، الآية ٤٦].
(٣) [سورة الفجر، الآية ٢٠].
(٤) [سورة العاديات، الآيات ٦ - ٨].
(٥) [سورة النساء، الآية ٥].

تلزمه نفقته، والزكاة، والصدقة)، وحرم الإسراف فيما يملك الإنسان، وقال ﷻ: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[1]، ونهى عن التبذير قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾[2]،ومن عجز عن الكسب فقد أوجب الإسلام له تملكًا بالطرق المشروعة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾[3].

غريزة الوالدية: وقد حرص الإسلام على إشباعها بالطرق المشروعة، وجعل السبيل لذلك الزواج الشرعي، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾[4]، وقال ﷻ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[5]،

(١) [سورة الأعراف، الآية ٣١].
(٢) [سورة الإسراء، الآية ٢٧].
(٣) [سورة المعارج، الآيتان ٢٤، ٢٥].
(٤) [سورة النحل، الآية ٧٢].
(٥) [سورة الروم، الآية ٢١].

وقال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ﴾(١).

الذاتية (غريزة الأنا): فما من إنسان إلا وهو يشعر أنه شيء ما، بل يشعر أنه كل شيء في بعض الأحيان، والإسلام لا يذيب الفرد من أجل المجتمع، ولا يضيع المجتمع من أجل مصلحة الفرد، وإنما يحرص على استقرار واستقلال الفرد ابتداء باعتباره اللبنة التي يتكون منها المجتمع، فإذا صلحت هذه اللبنة صلح البناء وخلا من الخلل والخواء، والمسئولية الفردية تؤكد الذاتية، قال ﷻ: ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ﴾(٢)، وقال ﷻ: ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ﴾(٤).

وفي إطار التأكيد على الذاتية كان التكليف بعد البلوغ، وإسقاط التكليف عن كل عاجز أو نائم أو

(١) [سورة المؤمنون، الآيتان ٥، ٦].

(٢) [سورة المدثر، الآية ٣٨].

(٣) [سورة فصلت، الآية ٤٦].

(٤) [سورة آل عمران، الآية ١٩٥].

صغير، وفي الحديث: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ»(١)، وفي مواطن الرأي، ففي الحديث: «لاَ تَكُونُوا إِمَّعَةً، تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا»(٢).

غريزة الحب: وهي من الغرائز الموجودة في الإنسان، وقد راعى الإسلام هذه الغريزة فجعل أعلاها مرتبة ومنزلة حب الله « ثم حب الرسول »، ثم حب ذوي القربى، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾(٣)، وقال ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾(٤)، وقد بين الرسول ﷺ أن حب الله ورسوله يكسب الإنسان تذوقه لطعم الإيمان، قال ﷺ: «ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الحدود، باب في المجنون يسرق أو يصيب حدًّا، حديث رقم: ٤٤٠٣.

(٢) سنن الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في الإحسان والعفو، حديث رقم: ٢٠٠٧.

(٣) [سورة البقرة، الآية ١٦٥].

(٤) [سورة المائدة، الآية ٥٤].

الإِيـمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُـولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِـوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِـبَّ المَـرْءَ لاَ يُحِبُّـهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْـرَهَ أَنْ يَعُـودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْـرَهُ أَنْ يُقْـذَفَ فِي النَّـارِ»[1]، ومـن السبعة الذيـن يظلهم الله بظلـه يـوم لا ظـل إلا ظلـه «وَرَجُـلاَنِ تَحَابَّـا فِي اللهِ اجْتَمَعَـا عَلَيْـهِ وَتَفَرَّقَـا عَلَيْهِ»[2].

كـما أذن الإسـلام بإشـباع غريـزة الحب بـين الزوجين، والآبـاء والأبنـاء، وسـمح بحـب المـال دون الافتتـان بـه، ورغـب في الجنـة وحبـب فيها وتحـدث عنها بما يشـوق كل عاقـل إلى سـكناها، وبهـذا يكـون الإسـلام قـد أعلى شـأن هـذه الغريـزة، ولم يأذن بإسـاءة اسـتخدامها.

- الاهتـمام بالإنسـان مفكـرًا: فالتفكـير هـو أسـاس الرقـي الحضـارى، وقـد حـرص الإسـلام عـلى الاهتـمام بالإنسـان ككائن مفكر وسـلك في ذلك سـبلًا عـدة، منها:

(١) متفـق عليه: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حـلاوة الإيمان، حديث رقم: ١٦، وصحيح مسـلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، حديث رقم: ٤٣. واللفظ للبخاري.

(٢) متفق عليـه: صحيح البخاري، كتاب الآذان، باب من جلس في المسـجد ينتظر الصلاة، حديث رقم: ٦٦٠، وصحيح مسـلم، كتاب الزكاة، باب فضل إخفـاء الصدقة، حديث رقم: ١٠٣١. والفظ للبخاري.

١- إعلاء منزلة التفكير في الإسلام، والدعوة إلى ذلك، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾(١).

٢- الحث على العلم وجعله فريضة على كل مسلم ومسلمة، وفي الحديث: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»(٢)، وكتب السنة قد عقدت أبوابًا خاصة لبيان فضل العلم وفضل أهله.

٣- تحريم الإسلام كل شيء يضر بآلة التفكير (العقل) كالمسكرات والخمور والمفترات، قل المشروب أو كثر.

٤- صرح الإسلام بالفرق الكبير بين المتعلم والجاهل، ونفى التسوية بينهما في الدنيا والآخرة، والعقل والشرع، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٣)، وقد أعطى الرسول ﷺ (شهادات تقدير) لكل نابه أو نابغ في المعرفة، وهي شهادات لا تمحي

(١) [سورة فصلت، الآية ٥٣].

(٢) سنن ابن ماجه، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، حديث رقم: ٢٢٤.

(٣) [سورة الزمر، الآية ٩].

بمضى الزمن، ففي الحديث: «وَأَقْرَأُ أُمَّتِي أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وَأَفْرَضُهَا زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ»[1].

٥- حرر الإسلام الفكر من المؤثرات الخارجية كافة، مثل: الهوى والظن وموروثات الآباء، والآيات في ذلك كثيرة؛ لأن مثل هذه المؤثرات تصرف العقل عن النتيجة الصحيحة.

وختامًا.. فإن وحي الله ﷻ إلى الإنسان ومن أجل الإنسان، ومناط تحقيقه وتطبيقه بالإنسان، وغاية الشريعة الإسلامية سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة والسمو بالإنسان إلى أسمى درجات الرقي، والنأي به عن الانحدار أو الانحطاط، وقد راعت الشريعة الطبع التكويني للإنسان وهي تخاطبه.

* * *

(١) المعجم الصغير للطبراني، حديث رقم: ٥٥٦.

حقوق الإنسان في الإسلام(١)

عندما نتحدث عن حقوق الإنسان وحرياته في الإسلام نتحدث عن بُعدين متلازمين، بُعد فكري ثقافي يتمثل في مبادئ تجد مرجعيتها الموضوعية والتاريخية في نصوص دينية مقدسة، تفرض التزامًا دينيًّا وأخلاقيًّا وقيميًّا، والبُعْد الآخر بُعد حقوقي وتشريعي يتمثل في صياغات قانونية تحدد طبيعتها ومجالاتها، ونطاق المسئولية عنها، وإلزام الأفراد والدولة باحترامها وتنفيذها، وضمانات وآليات لحمايتها.

إن مبادئ الإسلام وتشريعاته تقدم نصوصًا تتفق مع ما توصل إليه الإنسان بعد صراعه الطويل وسعيه لإقرار حقوقه وحرياته، وذلك من خلال عهود ومواثيق لا تزال تتعزز وتترسخ، وقد سبق الإسلام إلى

(١) الإعلامي الأستاذ/ أحمد فراج رحمه الله، مصر.

تقريرها قبل غيره من النظم، وذلك منذ حوالي خمسة عشر قرنًا، ونحن مطالبون بأمرين:

الأول: إزالة ما علق بالإسلام من تشويه؛ بعضه ناشئ عن الجهل بالإسلام، وبعضه يقوم به مبطلون ومغالون ومتنطعون منتسبون إلى الإسلام.

الثاني: بيان حقيقة الموقف الإسلامي من حقوق الإنسان وحرياته.

ومما لا شك فيه أن تفاعل الحضارات بمعطياتها الثقافية المتميزة سوف يساعد على إثراء مرتكزات قضية حقوق الإنسان التي تستند إلى خلفيات تاريخية لشعوب متعددة، وعطاءات ظروف وأفكار وعقائد مختلفة، يضاف بعضها إلى بعض في سبيكة قوية متماسكة؛ حيث إن جحد كفاح الشعوب وإنكار دورها في تقرير حقوق الإنسان يستوي مع إنكار أثر الإسلام في إقرارها وترسيخها، بل السبق إليها، كلاهما الجحود والإنكار، يؤجج خلافًا لا مبرر له، ويضيع جهدًا نحتاج إليه لترسيخ حقوق الإنسان، ودعم حرياته، ومواجهة تيارات العنف وقوى الإرهاب في كل مكان؛ لأننا

نؤمن كما قال رسول الإسلام ﷺ: "الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ اللهِ، فَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ"[1]، ولو شاء الله لجَعل الناس أمة واحدَة، ولكن جعلنا شعوبًا وقبائل للتعارف والتعاون لا للتباغض والتصارع، حيث قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾[2].

إن قضية حقوق الإنسان لا بدَّ فيها من ارتباط الحقوق بالواجبات، والحديث عنهما معًا، فهناك مَن يريد الحرية والحقوق لنفسه ولا يهتم بما يصيب الآخرين وحقوقهم، ويضخم ما يمس حرياته وحقوقه، ويتلذذ بما يصيب مخالفيه متصنعًا الشفقة عليهم، فمن الواجب إيقاظ شعوره بالمسئولية.

والحرية هنا هي الحق الذي نعنيه، وهي قيمة أساسية؛ فهي في المفهوم الإسلامي أساس صحة الإسلام وأساس المجتمع والدولة والحضارة، كما أنها ليست مجرد إباحة أو حق، ولكنها واجب وجهاد موصول للنفس ولقوى الشر

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي، حديث رقم: ٧٠٤٦.

(٢) [سورة الحجرات، الآية ١٣].

- أيًّا كان مصدرها - لإعلاء كلمة الحق والعدل والحرية بالتعاون مع الآخر.

ولما كانت الحقوق جزءًا لا يتجزأ من الشريعة الإسلامية ومقاصدها، وثمرة للعقائد والشعائر اكتسبت صفة الواجب وصفة الدوام؛ فيثاب المرء على فعلها، ويعاقب على تركها، ومن حقوق الإنسان الأساسية حرية الاعتقاد وما يترتب عليها من حرية التعبير والمناقشة، وممارسة العبادات والحرية الفكرية.

إن سبق الإسلام إلى تقرير حقوق الإنسان وحرياته المقررة في مصادر الشريعة الأصلية في الكتاب والسنة لا يحتاج إلى دليل، فنحن نتحدث عن قرابة خمسة عشر قرنًا على إرساء تلك الحقوق، ولا يجد أي باحث أي مشقة في إثبات ذلك.

إن مصادر التشريع لحقوق الإنسان وحرياته في الإسلام أساسها القرآن والسنة، ثم سائر المصادر المعتمدة التي يهمنا أن نشير من بينها إلى الاجتهاد، وإذا كان معروفًا أنه لا اجتهاد مع نص، فإن القضايا والمسائل التي جاء فيها الإسلام بمبدأ عام وقاعدة

إجماليـة هي موضـوع للاجتهـاد الموصول إلى يـوم القيامة، ومجـيء قاعـدة كليـة أو مبـدأ عـام في قضية مـن القضايا أو مسـألة من المسـائل التـي تتغير بتغـير الزمان أو المكان هو إذنٌ بالاجتهـاد، بـل هـو بالأحرى أمـرٌ بالاجتهـاد بالرأي في إطـار المبـدأ العـام أو القاعـدة الكليـة لتحقيـق المصالح والمقاصـد، ولهـذا تبقـى شريعـة الله صالحـة للتطبيق في كل زمان ومـكان.

حقوق الإنسان في الإسلام:

إن الإنسـان "أيّ إنسـان مسـلمًا كان أو غـير مسـلم" محـترم في نظـر الإسـلام ومكـرَّم بتكريـم الله لـه، بغـض النظـر عن جنسـه أو لونـه أو دينه، وعنـاصر الاحترام التي جـاء بها الإسـلام وكفلها للإنسـان كثيرة، تتمثـل فيما قرره لـه من حقوق سـبق بها كل ما سـواه من نظـم وتشريعات؛ فالإنسـان مخلـوق مكـرَّم، قـال تعـالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾(١).

(١) [سورة الإسراء، الآية ٧٠].

وتأكيدًا لوحدة الجنس قال رسول الله ﷺ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى"[(١)]، مصداقًا لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[(٢)].

إن مبادئ الإسلام تشمل المساواة بين الأرواح الإنسانية أمام الله، وتقرر أواصر الأخوة والتعاون الإنساني والوحدة بغض النظر إلى العنصر أو اللون، كما تقرر فريضة الدفاع عن الضعيف وحمايته ممن يجورون عليه، وإغاثة المعوزين والمحرومين، فالإسلام بهذا لا يقر العنصرية ولا التفرقة بين البشر بسبب الجنس أو العنصر أو العرق أو اللون أو أية فوارق، ولنتأمل قول نبي الإسلام ﷺ: "لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ"[(٣)]، ولم يكن غريبًا أن يعلن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: متى استعبدتم الناس وقد

(١) مسند أحمد، حديث رقم: ٢٣٤٨٩.

(٢) [سورة الحجرات: ١٣].

(٣) سنن أبي داود، كتاب الآداب، باب العصبية، حديث رقم: ٥١٢١.

ولدتهم أمهاتهم أحرارًا[1]، لتأتي عبارته بما يشبه النص بعد نحو أربعة عشر قرنًا ضمن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في ديسمبر ١٩٤٨م.

فتكريم الإنسان ووحدة الجنس البشري أصلان يشترك فيهما كل الناس، وأقرهما الإسلام، وفيهما قمة الاعتراف بالآخر، ومن مظاهر رعاية الإسلام لحقوق الإنسان أمور أخرى كثيرة، من أبرزها:

الاعتراف بالديانات السماوية:

امتاز الإسلام باعترافه من حيث المبدأ بالديانات السماوية، بل وتأكيد وحدتها في الأصول والأركان العامة، قال تعالى: ﴿**شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ**﴾[2]، ويقول رسول الإسلام ﷺ: "إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ

(١) فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم، ط: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٥هـ، ص١٩٥.
(٢) [سورة الشورى، الآية ١٣].

لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ"(١).

ويشمل الاعتراف بالديانات السابقة الاعتراف بالرسل السابقين على النبي الخاتم محمد ﷺ، فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾(٢).

حرية الاعتقاد في الإسلام:

القاعدة الإسلامية أن حرية الاعتقاد مكفولة، ولكل شخص أن يعتقد ما يشاء، يقول تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾(٣)، غير أنه في هذه الحالة يحتفظ المرء بحريته الشخصية في الاعتقاد، ولكن ليس من حقه الترويج للكفر لأنه يخالف النظام العام.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ﷺ، حديث رقم: ٣٥٣٥.

(٢) [سورة البقرة، الآية ٢٨٥].

(٣) [سورة الكهف، الآية ٢٩].

حقوق غير المسلمين في المجتمع والدولة الإسلامية:

الإسلام أمر بالعدل مع غير المسلمين الذين لم يقاتلوا المسلمين ولم يخرجوهم من ديارهم، بل تجاوز ذلك إلى ترغيب المسلمين في برهم والإحسان إليهم، والبر فوق العدل، وهي الكلمة التي يعبر بها الإسلام عن أوجب الحقوق البشرية على المسلم وهي بر الوالدين.

والإسلام ينظر نظرة خاصة لأهل الكتاب، سواء أكانوا في البلاد الإسلامية أم خارجها، فالقرآن يناديهم، بـ (يا أهل الكتاب) أي أنهم في الأصل أهل رسالة سماوية، فبينهم وبين المسلمين رحم وقربى، وتتمثل في أصول الدين الواحد الذي بعث الله به أنبياءه جميعًا، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ

(١) [سورة الشورى، الآية١٣].

مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾(١).

وإذا كان التقدير يشمل أهل الكتاب حيثما كانوا، إلا أن الموجودين في ظل دولة الإسلام لهم وضع أكثر خصوصية، وكانوا يسمون في الاصطلاح الإسلامي أهل الذمة، والذمة معناها العهد، أي أنهم مواطنون آمنون لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، إلا ما هو من أمور الدين والعقيدة فإن الإسلام يعطيهم الحق الكامل في تركهم وما يؤمنون به، وهناك نصوص كثيرة ومهمة شدَّد النبي ﷺ فيها على الوصية بهم، والوفاء بعهدهم، وتوعد كل مخالف لهذه التعاليم بسخط الله وعذابه.

والتاريخ الإسلامي حافل بما جرى عليه عمل خلفاء الرسول ﷺ من رعاية هذه الحقوق والحرمات للمواطنين غير المسلمين، وقد أكد فقهاء الإسلام على اختلاف مذاهبهم هذه الحقوق والواجبات، واكتفى بنص الفقيه القرافي: إن عقد الذمة يوجب علينا حقوقًا؛

(١) [سورة البقرة، الآية ١٣٦].

لأنهـم إلى جوارنـا وفي حمايتنـا وذمتنـا، وذمـة الله تعـالى، وذمـة رسـوله، وذمـة دين الإسـلام، فمـن اعتـدى عليهم ولـو بكلمـة سـوء أو غيبـة في عـرض أحدهـم، أو نوع من أنـواع الأذيـة أو أعان عـلى ذلك؛ فقـد ضيع ذمـة الله تعالى وذمـة رسـوله ﷺ وذمـة دين الإسـلام[1].

إن الإسـلام قـد قـرر حقوقًا فرديـة وجماعيـة، وكفلها، وضمنهـا، وحماهـا، وبـدون تمييـز بـين البـشر لأي سـبب كان، مـن خـلال أحـكام الشريعـة الإسـلامية التـي تقـوم عـلى تحقيـق مصالـح العبـاد، وهـي مصالـح لا تمليهـا الأهـواء، وهـذه الحقـوق المؤسسـة على مثـل هـذه المبادئ وعـلى القيـم النبيلـة، هي حجر الزاوية في سـعادة الإنسـان وسـعادة الأسرة البشريـة، وفي التقـدم الوطنـي، والرخـاء الدولي، والسـلام العالمـي، وكما قرر الإسـلام هذه الحقوق للإنسـان وضـع الأصـول والقواعـد الفقهيـة والتشريعيـة الكفيلـة بتحقيـق الضـمان الـلازم لتنفيذهـا والالتـزام بها.

إن حقـوق الإنسـان لا يمكـن أن تكون حقـوق أولئك الذيـن يولـدون في دول معينـة، أو مـن لـون وعقيـدة

(١) الفروق للقرافي، ٣/ ١٤، ط عالم الكتب.

وجنس معين، ولا يمكن أن تكون حقوق الأقوياء فيحرم منها الضعفاء، إنني أتذكر الآن ما قاله الرسول ﷺ في آخر خطبة له: "إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا.."[1]، وقوله ﷺ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلاَ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى"[2].

* * *

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ رب مبلغ أوعى من سامع، حديث رقم: ٦٧، وصحيح مسلم، كتاب القسامة، باب تغليظ تحريم الدماء، حديث رقم: ١٦٧٩. واللفظ لمسلم.

(٢) مسند أحمد، حديث رقم: ٢٣٤٨٩.

المساواة في الإسلام[1]

الإسلام هو الدين الذي بعث الله ﷻ به جميع الرسل والأنبياء، يقول الله ﷻ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾[2]، ويقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾[3]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[4]، وعندما حضر سيدنا يعقوب عليه السلام الموت سأل أبناءه ماذا تعبدون من بعدي، فقالوا كما جاء في القرآن الكريم: ﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ

(١) سماحة الشيخ / إبراهيم صالح الحسيني، رئيس المجلس الإسلامي النيجيري ومفتي نيجيريا.

(٢) [سورة المائدة، الآية ٣].

(٣) [سورة آل عمران، الآية ١٩].

(٤) [سورة آل عمران، الآية ٨٥].

وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾[1]، وسيدنا نوح عليه السلام مع قومه يقول كما جاء في القرآن الكريم: ﴿ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾[2]، ويقول الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾[3]، ويقول تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾[4]، فالكل مرسلٌ من لدن إله واحدٍ، برسالة واحدة، وهي عبادة الله وحده لا شريك له.

والإسلام بهذا المعنى جاء بقواعد ومبادئ أساسية ثابتة لا تتغير بتغير الزمان أو المكان، بل هي باقية وصالحة على مر الأيام والشهور وتعاقب الأعوام والدهور، ومن هذه القواعد والمبادئ حق الإنسان في المساواة وما يتفرع عن ذلك من حقوق أخرى.

(١) [سورة البقرة، الآية ١٣٣].
(٢) [سورة يونس، الآية ٧٢].
(٣) [سورة الشورى، الآية١٣].
(٤) [سورة البقرة، الآية ١٣٦].

مبدأ المساواة:

اختار الله تعالى للإنسانية رسالة الإسلام دينًا خاتمًا وفضله على جميع الرسالات، وخلق الخلق فأنزل به كتبه وأرسل به رسله مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، وجعله دينًا ميسرًا سهلًا سمحًا لا حرج فيه ولا مشقة، لم يوجب على معتنقيه ما لا يستطيعون، ولم يكلفهم ما لا يطيقون، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1]، وقال ﷻ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[2].

وقد أعلن الإسلام في بيان واضح أن الناس سواسية أمام الله، وأن جميع البشر المنتشرين في أنحاء قارات العالم أسرة واحدة انبثقت من أصل واحد، وأنه لا اعتبار باختلافهم في اللون، أو الجنس، أو اللغة، وإنما جعل أساس التفاضل والامتياز بينهم شيئًا آخرَ هو التقوى والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن

(١) [سورة البقرة، الآية ٢٨٦].
(٢) [سورة الحج، الآية ٧٨].

ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[1]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾[4]، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال في خطبة الوداع: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبَلَّغْتُ"، قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ الله ﷺ[5].

---

(١) [سورة الحجرات، الآية ١٣].

(٢) [سورة النساء، الآية ١].

(٣) [سورة الإسراء، الآية ٧٠].

(٤) [سورة الروم، الآية ٢٢].

(٥) مسند أحمد، حديث رقم: ٢٣٤٨٩.

وقد ورد أن رسول الله ﷺ أمر بدفن جثث قتلى قريش في بدر مما يقف دليلًا على أن اختلاف الدين لا يسقط الاعتبار الإنساني، كذلك لون البشرة في نظر الإسلام ينبغي ألا أن يكون عاملًا من عوامل التفرقة بين الناس، فالنبي ﷺ غضب غضبًا شديدًا حينما اشتم رائحة التفرقة العنصرية في قول أبي ذر الغفاري لبلال رضي الله عنهما: يا بن السوداء، وقال له النبي ﷺ: "أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ"(١)، فما كان من أبي ذر إلا أن قام ووضع خده على الأرض طالبًا من الرجل أن يطأ خده، وقد روي أيضًا أنه لما سرقت فاطمة بنت الأسود المخزومية جاء أسامة بن زيد رضي الله عنه يشفع لها، فأنكر الرسول ﷺ على أسامة شفاعته لها، وقال للناس حوله: "إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا"(٢).

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية، حديث رقم: ٣٠.
(٢) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، حديث رقم: ٣٤٧٥.

وإذا تقرر لدينا مبدأ الوحدة البشرية والمساواة بين الناس عمومًا في الدين الإسلامي، فإن الإسلام ذهب إلى أبعد من ذلك، فلم يفرق بين المسلم والذمي في المعاملات العامة لأن الجميع سواسية أمام القانون، لا تفضيل ولا محاباة حتى وإن كان أحد الخصمين مسلمًا رفيع المكانة والآخر غير مسلم، فقد روي أن يهوديًّا شكا عليًّا للخليفة عمر رضي الله عنه فقال عمر لعلي: قم يا أبا الحسن فاجلس بجوار خصمك، ففعل علي وعلى وجهه علامة التأثر، فلما فصل عمر في القضية قال لعلي: أكرهت يا علي أن تساوي خصمك؟ قال: لا، لكني تألمت لأنك ناديتني بكنيتي، فلم تسو بيننا -ومعلوم أن الكنية للتعظيم- فخشيت أن يظن اليهودي أن العدل ضاع بين المسلمين(١).

وقد سوَّى الإسلام بين المسلم والذمي في القصاص، والديات، والضمان، والتعازير، كما أباح في الأحوال الشخصية للذمي كل زواج أو طلاق يقره دينه ما لم يحتكموا إلى الإسلام، كما سوَّى الإسلام في الحرمان من

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب، لأبي جرادة العقيلي، ٤/ ١٧١٠ (بتصرف).

الميراث بين الذمي والمسلم، فلا يرث المسلم قريبه الذمي، ولا يرث الذمي قريبه المسلم، ولا يرث الزوج المسلم زوجته الكتابية وكذلك لا ترثه، إلى غير ذلك من الأحكام الفقهية المتعددة التي ساوى فيها الإسلام بين المسلم والذمي الواردة في كتب الفقه الإسلامي.

تقرير حقوق الإنسان في الإسلام:

لقد أرسى الإسلام دعائم حقوق الإنسان منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمان، ورسخ لهذه الحقوق واستوعبها جميعًا بشكل متميز، يقول تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[(١)]، لذا نجد في هذه الحقوق ما قد يغفل عنه بعض الناس، ومن ذلك ما يلي:

- حق ضعاف العقول في الرعاية، فقد قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾[(٢)].

- حقوق اليتامى والمحافظة عليها، قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن

(١) [سورة الملك، الآية ١٤].
(٢) [سورة النساء، الآية ٥].

تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾[2].

- حق الدفاع عن النفس عند تعرض الإنسان لخطر محقق، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾[3].

- حق الإنسان المخطئ في تسامح من أخطأ في حقهم، وعفوهم عن الخطأ تشجيعًا له على تجنب تكرار الوقوع في الخطأ، وكذلك دعا الإسلام إلى تسامح الإنسان مع ضعفاء الأحلام من الناس، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَۖ أَنَّهُۥ مَنْ

(١) [سورة البقرة، الآية ٢٢٠].
(٢) [سورة النساء، الآية ٢].
(٣) [سورة النحل، الآية ٨١].

عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1]، وقال ﷻ: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾[3]، وقال في آية أخرى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾[4].

وختامًا.. فإن حقوق الإنسان في الإسلام ومنها حقه في المساواة وما يتفرع عنها من حقوق تعتبر واجبات مقدسة، وما الإنسان إلا مستخلف فيها، وهذا يعد دليلًا من الأدلة على اهتمام الإسلام بالإنسانية جمعاء.

* * *

(١) [سورة الأنعام، الآية ٥٤].
(٢) [سورة الأعراف، الآية ١٩٩].
(٣) [سورة النحل، الآية ١٢٦].
(٤) [سورة فصلت، الآيتان ٣٤، ٣٥].

رفض ثقافة الكراهية والعنصرية[١]

ما بعث الله ﷻ من نبي أو أنزل من كتاب أو شرع من دين إلا ليعلم الناس مبادئ الوحدة، والبر، والحب، والمساواة، والعدل، ويوطِّد الإيمان بالله ﷻ في نفوسهم، يقول تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾[٢].

وبما أن دعوة الأنبياء واحدة، وهي الإيمان بالله وعبادته، وبناء مجتمعات تتعاون فيما بينها على البر والتقوى والمحبة، وبما أن الكتب السماوية جميعًا دعوتها

(١) أ.د/ ماهر أحمد الصوفي، الإمارات العربية المتحدة.
(٢) [سورة الشورى، الآية ١٣].

واحدة، لا يختلف كتاب عن كتاب في دعوته، يقول تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[1]، فقد أراد الله سبحانه بعلمه أن يكون خاتم هذه الكتب السماوية القرآن الكريم، وخاتم هذه الرسالات الإسلام، وخاتم الأنبياء سيدنا محمد ﷺ؛ لتكون رسالة الإسلام هادية للناس تخرجهم من الظلمات إلى النور، وتبين صراط الله المستقيم، يقول تعالى: ﴿قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[2].

---

(١) [سورة البقرة، الآية ١٣٦].

(٢) [سورة المائدة، الآيتان ١٥- ١٦].

ولقد أراد الله سبحانه بعلمه أن يعم هذا الدين البشرية جمعاء لما يحمل من خير ورحمة ونور وهدى لبني آدم جميعًا، يقول تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[1]، ويقول ﷻ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[2]، وكانت آخر الآيات القرآنية نزولاً فيها رضا الله ﷻ عن هذا الدين الذي أكمله بعلمه وقدرته واختاره لبني الإنسان على هذه الأرض ليكون له نعمة ورحمة، يقول تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾[3].

الإسلام دعوة أخلاقية:

كرَّم الله ﷻ الإنسان على سائر خلقه، وأرسل له الرسل الكرام للارتقاء به إلى أعلى درجات الكمال خلقًا وإيمانًا، ولهذا يقول ﷺ: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ"[4]، فلا

(١) [سورة سبأ، الآية ٢٨].

(٢) [سورة الأنبياء، الآية ١٠٧].

(٣) [سورة المائدة، الآية ٣].

(٤) السنن الكبرى للبيهقي، كتاب الشهادات، باب بيان مكارم الأخلاق، حديث رقم: ٢٠٧٨٢.

يمكن حفظ كرامة الإنسان أو مكارم الأخلاق في أي مجتمع إلا من خلال صحة وسلامة تربية الفرد على حسن التعامل، وحسن الخلق، واحترام الآخرين، ومن صور تربية الفرد في الإسلام كما جاء في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾[1]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[2]، وكثيرة هي الآيات الكريمة في هذا الخصوص، التي توجه وترشد وتعلم وتربي الفرد على حسن الخلق وحسن الآداب التي يتحقق من خلالها المجتمع المثالي الذي يتسم بالحب والألفة والمودة.

إن من عظيم أمر الإسلام وحسن توجيهاته وتعليماته في تحقيق حق الفرد

(١) [سورة الإسراء، الآية ٣٧].

(٢) [سورة لقمان، الآيات ١٧ – ١٩].

وحق المجتمع أنه لم يربِّ الفرد على الأخذ دون العطاء، وعلى الأنا والأثرة دون الإيثار، وعلى حب الذات دون حب الآخرين، يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(1)، فهذه الآية الكريمة تبدد كل فكر أو ثقافة تحمل في طياتها الكراهية للآخرين، أو حب الذات والانتماء إلى فئة معينة من الناس بعنصرية مقيتة.

ومن تجليات دعوة الإسلام الأخلاقية أن جعل رسول الله ﷺ للمسلم على المسلم حقًّا في خمسة أمور تمثل أعلى مراتب تحقيق الإيثار والبر والحب، قال رسول الله ﷺ: "حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ

(1) [سورة الحشر، الآية 9].

العَاطِسِ"(١)، وفي التوجيه النبوي للمسلمين يقول رسول الله ﷺ: "إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ"(٢).

وكل هذه الآيات والأحاديث تشير إلى تقرير حق الآخرين، وتجسيد ثقافة المحبة والإخاء ودحض ثقافة الكراهية والعنصرية؛ معتبرة إنسانية الإنسان وكرامته فوق كل اعتبارات الحقد والكراهية والبغضاء؛ لأن الله عز وجل هو خالق جميع البشر وهو الذي صورهم كيف يشاء، وليس لأحدٍ يد في لونه وصورته ومكان ولادته، يقول تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾(٣)، ويقول تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الأمر باتباع الجنائز، حديث رقم: ١٢٤٠، وصحيح مسلم، كتاب السلام، باب من حق المسلم على المسلم، حديث رقم: ٢١٦٢. واللفظ للبخاري.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر، حديث رقم: ١٩٦٨.

(٣) [سورة آل عمران، الآية ٦].

﴿أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾[1]، فالناس في الإسلام سواء؛ لذا فإن التعاون والمحبة في الإسلام ليست لطبقة دون طبقة، يقول رسول الله ﷺ: "لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"[2]، وحتى تكتمل صفات الحب في أرقى صورها رَهَن الله ﷻ الجزاء والأجر الإلهي في أن يكون الإنفاق في الإسلام مما يحب، وليس من فضل ما يزيد من مال وحاجات، يقول تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[3].

فأي مجتمع في هذه الدنيا يتمتع بهذه الصفات الإنسانية التي أوجبها الله ﷻ على المسلمين، فبهذه الصفات لا يعرف المجتمع للكراهية معنًى، ولا للبغضاء بين أفراده سبيلًا، ولا للعنصرية وجودًا، ولا للتمييز طريقًا، فالإنسان في الإسلام إنسان له وجوده

---

(١) [سورة الحجرات، الآية ١٣].

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، حديث رقم: ١٣.

(٣) [سورة آل عمران، الآية ٩٢].

وحقوقه مهما صغر شأنه، أو ضعف حاله، أو قل ماله، أوعصفت به الأنواء.

الإسلام كفل رعاية المحتاجين:

حفل القرآن الكريم بآيات حثت على رعاية المحتاجين من الفقراء والمساكين حفاظًا على كرامتهم الإنسانية، وحقوقهم الواجبة لهم في النظم التشريعية في الإسلام، وهنا تتجلى بعض المعاني الحقيقية لحقوق الإنسان في الإسلام؛ حيث إن تلك الآيات الكريمة تحض على الإحسان بكل مرادفاته الإنسانية لتلك الطبقات الفقيرة والمحتاجة لينالوا حقهم في مفهوم الوجود والإنسانية، وليتحقق الحب وتمحق الكراهية بين أفراد المجتمع، يقول تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا

﴿فَخُورًا﴾[1]، كما يقول ﷻ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾[2]، ويقول تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾[3]، وتلاحظ من الآيات الكريمة تكرار ذكر اليتيم وابن السبيل وذلك لحاجتهما وضعفهما، ودرءًا لإهانتهما، وحفاظًا على إنسانيتهما.

رعاية الإسلام لحقوق سائر البشر:

الإنسان في المجتمع المسلم إنسان بغض النظر عن عقيدته أو جنسه أو لونه أو العاطفة نحوه، قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[4]، ويقول ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾[5].

(١) [سورة النساء، الآية ٣٦].
(٢) [سورة البقرة، الآية ٢١٥].
(٣) [سورة الإسراء، الآية ٢٦].
(٤) [سورة المائدة، الآية ٨].
(٥) [سورة النساء، الآية ١٣٥].

إن من أعظم الذنوب والآثام والبهتان عند الله ﷻ كراهية الإنسان وظلمه؛ لما في ذلك من ضياع للحق وانتقاص من كرامة الإنسان وحقه في الحياة الآمنة، يقول تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥ وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٠٦ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا ١٠٧ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ١٠٨ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ١٠٩ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠ وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١١١ وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾(١)، فهذه

(١) [سورة النساء، الآيات ١٠٥-١١٢].

الآيـات الكريمة تـدل على وجـوب إحقاق الحق وسـلامة التعامـل مـع الإنسـان أيًّـا كانـت عقيدته.

والآيـات كثـيرة في تحريـم الظلم، يقـول ﷻ: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾[1]، ويقول تعـالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾[2].

حرية المعتقد في المجتمع الإسلامي:

مما لاشـك فيـه أن حريـة المعتقد في المجتمع الإسـلامي تنبـع من عقيدة المسـلم، يقـول تعـالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾[3]، ويقـول ﷻ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[4]، ويقـول ﷻ: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[5]، ويقـول تعـالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ

(١) [سورة طه، الآية ١١١].
(٢) [سورة غافر، الآية ٥٢].
(٣) [سورة البقرة، الآية ٢٥٦].
(٤) [سورة الكهف، الآية ٢٩].
(٥) [سورة البقرة، الآية ٢٧٢].

مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾[1].

وفي سنة رسول الله ﷺ تنبيه للمسلمين ألَّا ينتقصوا حقوق أهل الذمة الذين يعيشون في ديارهم، بل أمرهم رسول الله ﷺ أن يبروهم ويقسطوا إليهم، فعَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: "مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا"[2]، وهذا من خلق الإسلام الذي يقوم على المحبة والتسامح والعفو بين الناس وليس على المقت والكراهية والأذى والضرر.

الإسلام دين المحبة والمساواة بين البشر:

لقد قضت سنة الله ﷻ في الخلق باختلاف ألوان البشر وألسنتهم وأجناسهم وأممهم، قال تعالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ﴾[3]، ومع ذلك

(١) [سورة يونس، الآية ٩٩].
(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الديات، بَابُ مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا، حديث رقم: ٢٦٨٦.
(٣) [سورة الروم، الآية٢٢].

نهى الله ﷻ عن العنصرية والتمييز على أساس اللون أو الجنس، ولم يسمح رسول الله ﷺ لأصحابه بهذا التمييز، وذلك عندما وصف أبو ذر الغفاري رضي الله عنه أحد الناس بقوله: يا بن السوداء، فقال له: رسول الله ﷺ: "إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ"(١)، وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ: "أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى"(٢).

كما رفض الإسلام العبودية بكل أشكالها وألوانها تحريرًا للناس من عبادة الناس إلى عبادة رب الناس، ورفض كل أشكال التمييز والفوارق المصطنعة بين الأمم والشعوب والأقوام والأفراد والرجال والنساء، وثبت حق الإنسان في الحياة الحرة الكريمة دون تمييز أو عنصرية أو سخرية أو استهزاء، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية، حديث رقم: ٣٠.
(٢) مسند أحمد، حديث رقم: ٢٣٤٨٩.

لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾(١).

فهذه الأوامر الإلهية جاءت لأن الله ﷻ أكرم الإنسان وأجلَّه وفضَّله على كثير ممن خلق تفضيلًا، فلا يصح عند الله ﷻ أن يكون هذا الإنسان في عمومه موضع سخرية أو استهزاء، بل جعل له حقوقًا يجب أن تصان من جميع خلقه، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا﴾(٢).

من مقاصد الإسلام حفظ حقوق الإنسان:

لقد رفض الإسلام الكراهية والعنصرية وجسد مكانهما المحبة والتعاون، ولقد استخلص المشرعون والفقهاء من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ حفظ المقاصد الشرعية وهي:

(١) [سورة الحجرات، الآيتان ١١، ١٢].

(٢) [سورة الإسراء، الآية ٧٠].

حفظ الدين، والنفس، والوطن، والنسل، والمال، والعقل، وكذلك لما حققه الإسلام من حفظ كرامة الإنسان وحقوقه، فواجب على كل مسلم أن يحفظ هذه الكليات في نفسه وفي غيره، ولا يجوز الاعتداء عليها بأي حال من الأحوال، وقد أرسى الإسلام قواعد حقوق الإنسان منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا، ومما تتميز به ما يلي:

- أن تلك الحقوق من تقرير الوحي السماوي، فلا يعتريها التغيير والتبديل.
- أن تلك الحقوق لا يقررها الإسلام من وجهة عامة نظرية، بل يعضدها بما في تفصيلات الشريعة مما يتعلق بالحقوق الخاصة من مالية وشخصية.
- أن الحقوق الطبيعية للإنسان في الإسلام لها صفة الإلزام بالنسبة للمسلمين أيًّا كانوا لأنها من مقررات الدين، ولأنها تتضمن جزاءات دينية ودنيوية على من يخالفها.

وختامًا.. فإن خطبة الوداع تعد وثيقة لحقوق الإنسان ترفض ثقافة الكراهية والعنصرية، ومما قاله

رسـول الله ﷺ في هـذه الخطبـة التـي أقـر فيهـا حقـوق الإنسـان في الإسـلام: "إِنَّ دِمَاءَكُـمْ وَأَمْوَالَكُـمْ حَـرَامٌ عَلَيْكُـمْ، كَحُرْمَـةِ يَوْمِكُـمْ هَـذَا فِي شَـهْرِكُمْ هَـذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَـذَا، أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِـنْ أَمْـرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَـيَّ مَوْضُوعٌ، وَدِمَـاءُ الْجَاهِلِيَّـةِ مَوْضُوعَـةٌ... فَاتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَـاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُـنَّ بِأَمَـانِ اللهِ، وَاسْـتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُـنَّ بِكَلِمَـةِ اللهِ، وَلَكُـمْ عَلَيْهِـنَّ أَنْ لَا يُوطِئْـنَ فُرُشَـكُمْ أَحَـدًا تَكْرَهُونَهُ، فَإِنْ فَعَلْـنَ ذَلِـكَ فَاضْرِبُوهُـنَّ ضَرْبًا غَـيْرَ مُـبَرِّحٍ، وَلَهُـنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُـنَّ وَكِسْـوَتُهُنَّ بِالْمَعْـرُوفِ.."[1].

"أيها الناس إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا...أيها الناس استوصوا بالنساء خيرًا... أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه... فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمن أنفسكم... ".

* * *

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ رب مبلغ أوعى من سامع، حديث رقم: ٦٧، وصحيح مسلم، كتاب القسامة، باب تغليظ تحريم الدماء، حديث رقم: ١٦٧٩. واللفظ لمسلم.

الموضوع

*** تقديم** ٥
أ.د/ محمد مختار جمعة مبروك، وزير الأوقاف.

*** رسول الإنسانية ﷺ** ١١
أ.د/ محمد مختار جمعة مبروك، وزير الأوقاف.

*** وحدة الأصل الإنساني** ٢٥
أ.د/ أحمد عمر هاشم، عضو هيئة كبار العلماء، رئيس جامعة الأزهر سابقًا.

*** الوحدة الإنسانية ومنطلقاتها** ٣٥
أ.د/ فريد بن يعقوب المفتاح، وكيل وزارة العدل والشئون الإسلامية والأوقاف، مملكة البحرين.

*** الركائز الإنسانية للحضارة الإسلامية** ٥٣
أ.د/ بو عبد الله غلام الله، وزير الشئون الدينية والأوقاف سابقًا، الجزائر.

*** الإنسان ومنزلته في الإسلام** ٦٧
أ.د/ بكر زكي عوض، عميد كلية أصول الدين. جامعة الأزهر سابقًا.

*** حقوق الإنسان في الإسلام** ٩٥
الأستاذ/ أحمد فراج، مصر.

*** المساواة في الإسلام** ١٠٧
الشيخ/ إبراهيم صالح الحسيني، رئيس المجلس الإسلامي النيجيري ومفتي نيجيريا.

*** رفض ثقافة الكراهية والعنصرية** ١١٧
أ.د/ ماهر أحمد الصوفي، الإمارات العربية المتحدة.

الهيئة المصرية العامة للكتاب

المشرف على المشروعات الثقافية

مروان حماد

متابعة

فريال فؤاد

المراجعة اللغوية

د.حسن أحمد خليل

سيد عبد المنعم

الإخراج الفني

أحمد طه محمود

رقم الإيداع بدار الكتب ٤٠٤٦/ ٢٠٢٢

ISBN 978-977-91-3597-7